زهقوذم

مسرحية في ثلاثة فصول

بقلم

الدكتور سهيل ادريس

الاشخاص

نزيه
هشام
فتحي — فدائيون
سعيد
الياس
احمد : جاسوس للعدو
زياد : أخو نزيه وليلى
ليلى : أخت نزيه وزياد
الام : أم نزيه وزياد وليلى
الضابط الاسرائيلي
راشيل : مجندة اسرائيلية
جنود اسرائيليون

الفصل الاول

غرفة استقبال عادية في منزل عربي من منازل قرية بيت فوريك القريبة من نابلس في الارض المحتلة من فلسطين . الى اليسار باب الدخول . الى اليمين باب لغرفة نوم علق فوقه صورة كبيرة لرجل عربي يرتدي الكوفية والعقال . والى اليمين كذلك باب آخر يؤدي الى المطبخ . أريكتان في الغرفة وبضع كراسي وطاولة .

المشهد الاول

نزيه ، هشام ، فتحي ، سعيد ، الياس ، الأم ، ليلى

(الفدائيون الخمسة جالسون أرضا في غرفة الاستقبال يتناولون الطعام . الام جالسة خلفهم على أريكة . ليلى تدخل المطبخ بين حين وحين ، تأتيهم بالطعام وتخدمهم) .

هشام (يمضغ الطعام بنهم) : هم م م م ... لذيذ ، لذيذ ! (ملتفتا لفتحي) هذا أكل ! أما ذلك الذي أردت اطعامنا اياه في الوادي ...

فتحي (يأكل هو أيضا بنهم) : كل ما يؤكل عند الجوع يسمى أكلا ! (ليلى تضحك) .

هشام (ملتفتا لليلى) : أراد ان يطعمنا .. تعرفين ماذا ؟ حية والله العظيم !

ليلى (منقززة) : حية ؟ أعوذ بالله !

فتحي : أقسم انها من ألذ أنواع الطعام !

نزيه : خاصة بعد يومين من الجوع !

فتحي : كانت المعلبات قد نفدت ، وقرأ لنا سعيد كل ما نظمه في حياته من قصائد غرامية فاشلة ، وأصم الياس آذاننا بأزجاله ، وحكيت أنا كل ما أعرفه من نكت ...

سعيد (مقاطعا) : بايخة !

فتحي (متمما) : ... ولم يعد شيء ينفع في حملنا على نسيان الجوع ...

هشام : عند ذلك ، راح يفتش في الوادي ، ثم عاد يحمل حية طويلة ، فأشعل نارا وشواها ، وأخذ يأكل منها ويتلمظ ... (يكز بوجهه) .

فتحي : كنت أتوقع أن يقرف طالب الطب الناعم المرفه حين يرى ...

نزيه (مقاطعا) : ولكن اعترف ، هشام : ألم يكن ، بعد ذلك ،

أقدرنا على الصمود في المشي ؟

هشام : وماذا حصل ؟ هل متنا من الجوع ؟

سعيد : كان في خيالك ، أنت ، طيف يغذيك ...

فتحي : حتى حين تجد الطعام هنا لذيذا ، فلذلك سبب آخر :

هشام : وما هو ؟

سعيد : أوه . لا تكن غبيا ، أو لا تتظاهر بالغباء . أيـــة أنامـــل صنعت هذا الطعام ؟

(ليلى تغضي مبتسمة)

فتحي : على أي حال ، أعطينا ، آنسة ليلى ، رغيفين آخرين !

(تخرج ليلى الى المطبخ)

الياس : ما شاء الله ! التهمت كل الخبز ؟ أقسم أنك ستظـــل جائعا ما دمت حيا !

فتحي : معك حق . سأظل جـــائعا للطعام .. وللمرأة ! (يلتفت فجأة الى الام ، مستدركا) المعذرة !

ليلى (راجعة من المطبخ) : خـــذوا ! هذا كل ما بقي عنـدنا مـن خبز !

فتحي (مختطفا الخبز) : هاتي ، آنسة ليلى !

الياس (بصوت مرتفع) : أنظروا ! أنظروا ! هل لاحظتـــم كيف تشل الخبز ؟

سعيد : انحراف مهني ! (يضحكون) .

الياس : متى تتخلى عن عادة النشل ، فتحي ؟

فتحي : الانسان لا يتخلى ، بين ليـــلة وضحاها ، عن عاداته ، لا سيما اذا كانت عادات مربحة !

هشام : بالله عليك ، فتحي ، احـــك لليلى ولأمهـا كيف امتهنت النشل ، وكيف تخليت عنه !

فتحي : أوه ... هذه قصة طويلة !

هشام : قلها مختصرة ، بالله عليك !

فتحي : كل ما في الامر اني جعت ذات يـوم ، فسرقت . وحين شبعت وجدت ان السرقة لذيذة .. لذيذة مثل الطعام الذي يأكـــله الجائع ! (يضحكون) .

نزيـه : ولكنك لم تقل لماذا جعت ، فتحي ؟

فتحي : كنت أعمل في مصنـــع صغير للحلويات ، براتب ضئيل جدا . وحين طلبت زيادة في الاجر ، طردني صاحب المصنع . وظللت أسبوعين لا أجد عملا . كان علي أن أعيل أمي . (صمت) لكني أؤكـــد لكم اني لم أسرق ولم أنشل يوما الا بداعي الجوع .

الام : هل كانت أمك تعرف انك كنت ...

فتحي : لا . كنت أخفي عنها ذلك .

ليـلى : وما الذي جعلك تتخلى عن عادتك تلك ؟

فتحي (بعد لحظة صمت) : صور عـــديدة رأيتها في الجرائد . صور النازحين الجدد بعد عدوان ٥ حزيران . كان بينها خصوصـــا صورة أم وطفلها ماتا جوعا لان بيتهما قد سرق منهما . وهناك بيـــوت أخرى كثيرة قد سرقت ، فتشرد أصحابها أو ماتوا . ثم قلت لنفسي : ان عدوان اسرائيل على الارض العربيـــة كان أكبر عملية نشل في التاريخ . (صمت) . وبعد ذلك قررت أن أتخلى عن النشل والسرقة، وأن أنضم الى أولئك الذين صمموا على أن يردوا البيوت لاصحابها ، ويحولوا دون أن يمـــوت الاطفال جـــوعا ، ودون أن تتشرد الامهات والشيوخ تحت أشعة الشمس المحرقة .

نزيه : أؤكد لك ، ليلى ، ان فتحي يتـــولى في مجموعتنا أشق الاعمال وأكثرها مخاطر (صمت) هو الذي وضع العبوة الناسفة عنـد باب مولد الكهرباء أمس الاول . وهو الذي سارع لنقل واحد مـــن رفاقنا الجرحى تحت رصاص العدو ...

ليلى : هل أصيب أحد ؟

نزيه : جرح اثنان ، ولكننا نقلناهما . وهما يعالجان الآن .

هشام : أمضينا يومين رهيبين . ظلوا يطاردوننا خمس ساعـــات ليلة أمس الاول ، ويطلقون نيران رشاشاتهم فـــي اتجاهنا من غير أن نرد بطلقة واحدة . ثم زرعوا السماء بالمصابيح ، فاختبأنا حتى انطفأت .

سعيد : لم أقل لكم ما الذي تذكرته ، ونحن في مخبأنا نتفـــرج على المصابيح المضاءة في السماء (صمت) تذكرت ليلة أقمنا فيهـــا حفلة للاطفال لعبوا فيها ، تحت ضوء المصابيح ، حتى ساعة متأخرة من الليل . لا شك في انها كانت حفلة ...

هشام (مقاطعا) عفوا ، سعيـد (لليلى) لم نبلغك ، ليلى ، أن سعيد زميل لك ، ولكنه من لبنان .

ليلى : حقا ؟ أهلا وسهلا ، اننا نحب لبنان كثيرا !

سعيد : شكرا ، آنسة ليلى . (مستدركا) ولكن نرجو أن تحبوه لاسباب أخرى ، بالاضافة الى الاسباب التقليـدية المعروفة : جـوه ، حرياته ، مصايفه ، هواؤه العـذب ... (لحظة) نريده أن يشـــارك مشاركة حقيقيـــة في صنع المصير العربي ..

نزيه (لليلى ، باسما) : .. وهذا سعيد .. يضرب لنا المثـــل على ذلك حين ينضم الينا ...

ليلى (لسعيد) : أية مادة كنت تدرّس ؟

سعيد : لم أكن أدرّس مادة بعينها . كان عندي روضة أطفال .

ليلى : هل أغلقتها ؟

سعيد : لا . يديرها الآن أخي الاكبر . (صمت) أقول : فـــي تلك الليلة اشتد حنيني لاولئك الاطفـــال ، وقارنت بين تلك المصابيح التي أضأناها في الحديقة ليلعب أولادنا على نورها ويمرحوا ويضحكوا، وهذه التي أضاءوها هم ...

الياس (متمما) : ... ليقتلوا ويدمروا ..

نزيه : نعم . ان حياة أطفالنا ستكون أقسى وأحفل بالاخطار .

سعيد : كان لدي يقين ثابت بأن جيلنا مصاب بكثير من الفسـاد والانحلال . انه كالشجرة التي شاخت وكف نسغها عن بث الحياة فـي عروقها . (صمت) أما جيل أولادنا ، فهو النبتة الفتية التي ستكون ، بالتعهد ، أنقى وأصلب .

ليلى : لكن ، لماذا تخليت عن روضة الاطفال ؟

سعيد : لم أتخل عنها . لكنني لو قعـدت ، بحجة اني أحـــاول تربية جيل جديد ، لما تجنبت الاحتقـــار . ان علينا ، نحن أيضا ، أن نعطي القدوة لمن يأتي بعدنا .

الام : أليست لك أسرة في لبنان ، بالاضافة الى أخيك ؟

سعيد : مات أبواي منذ سنوات . وأسرتي هي .. أطفال الروضة كلهـــم !

الام : سادعو الله أن يردك سالما اليهم . (صمت) .

نزيه : اننا بحاجة الى فنجان قهوة يا أم نزيه !

ليلى (ضاحكة) : متـى تكف عـن مناداتها هكـــذا : أم نزيـه ، كأنها ليست أمك أو كأنك لست ابنها !

نزيه : حين أناديها هكذا ، أشعر بمزيد من الرجولة !

الام : الرجولة ! نحن نشكو انك تملك منها أكثر مما ينبغي ! ان المرحوم (تنظر الى الصورة المعلقة) لم يكن أصلب ولا أقسى ، عـــلى ما اشتهر به من صلابة وقسوة !

نزيه : لكن جيلنا يحتاج من المعاناة والشدة أكثر مما كان يحتـــاج جيل أبي .

ليلى : هذا لا ينفي انه كان جيلا رائدا !

نزيه : نحن نقر انه كان الجيل الرائد ، غير ان هذا لا يعفينا مـــن أن نتجاوزه . لا بد لجيلنا من أن يفيد من تجاربه ليكون أقدر عـــلى التضحيـــة .

الام (بلهجة احتجاج) : أوه .. التضحية ! التضحية ! كفـانا تضحيات يا نزيه ! لقد ضحى أبوكم بنفسه . أليس ظلما أن يتحمـل بيت واحد التضحية بالآباء والابناء ؟ (صمت) كنت سعيدة يا نزيـه أن أراك تتجه في دراستك الى العـــلوم الهندسية ، وكنت أرى مـــن حسن الطالع انك لم تكن تتعاطى السياسة . وعلى ما عانيته من بعـدك

عنا في ألمانيا ، كنت مرتاحة الى ان مستقبلك ...

نزيه (مقاطعا) .. ما كان لمستقبلي يا أم نزيه أن ينقطع عن حاضري .. حين اتجهت الى دراسة الهندسة ، لم يكن في ذهني على الاطلاق أن أتخلى عن الاهتمام بقضايا الوطن (لحظة) كنت أريد أن أرسي هذا الاهتمام على قاعدة صلبة من العلم والتقدم .. ولكن آمال الغد لا تستطيع أن تنفصل عن معطيات الواقع (صمت) كانت العيون الاجنبية التي تنظر الي في البلد الاجنبي تطفح بالحذر والريبة . كانت تعمّق احساسي باللاانتماء والضياع . وكان علي أن أحارب على جبهتين : أن أبني لنفسي ، ولو بالخيال ، عالما ذا حدود وأبعاد يمكنها أن تمنحني شعور الانتماء ، وأن أتحمل مسؤوليتي في آن أقضي على ذلك الحذر وتلك الريبة ، وأن أزرع بدلا منهما في العيون الاجنبية ثقة وايمانا بعدالة قضيتنا . (صمت) ولكن الذي حدث هو انهزيمتنا العسكرية طوحت بكل الابعاد والمنظورات ، فاذا بالحذر ينقلب الىألوان كثيرة من الاحتقار والكره والسخرية ، واذا بجيل كامل من الشباب يتقلص الى احساس بالخزي والعار لم يكن يملك أن يداريه الا بالتواري في الغرف أو الهرب الى الحقول والغابات حيث يستطيع أن يجتر عذابه ويتمصص ألمه ... كنا نفر من النظرات التي كانت تنطق صامتة بأننا ان كنا ننتمي الى شيء ، فالى تلك الهزيمة التي تنشر الصحف صورها وتذيع الاذاعات أخبارها في اطارات محكمة من السخرية والشتيمة والازدراء ... كنا في العواصم الاجنبية نحن أيضا مهزومين ، بل لعلنا كنا في بعض الضمائر المهزومين الحقيقيين ، المسؤولين عن الهزيمة ، لاننا تركنا أرضنا تسحب من تحت أقدامنا ، لاننا لم نتشبث بها بأيدينا وأصابعنا وأظافرنا .. لاننا عهدنا فيالدفاع عنها الى من لا ينتمون لتربتها ، ولا يحسون خفق رمالها . (صمت) وتتحدثين عن مستقبلي يا أم نزيه .. ازاء هذا المستقبل ، كنت بين أن أبقى في البلد الاجنبي ، أتسكع في الشوارع ، وأبتلع الاهانة ، وأميت احساسي بالخمر والنساء والغيبوبة ، وبين أن أعود لاحاول ، قبل أن أحمل الناس على الثقة بي ، أن أسترد ثقتي بنفسي وبجيلي وبشعبي ..

الام : ولكن ، نزيه ... أمن الضروري أن يشتغل الجميع بالسياسة ؟

نزيه : هذا ليس شغلا بالسياسة يا أم نزيه . انها اليوم قضية أن نكون أو لا نكون .

أم نزيه (كأنها لم تسمع) : ألم يكن من الافضل مثلا أن يتابع هشام دراسة الطب في بيروت ؟

هشام (ضاغطا على أعصابه) : أرجوك ، امرأة العم . لقد اخترت أنا أيضا العمل الفدائي بملء ارادتي ..

أم نزيه : ولكننا كنا ننتظر تخرجك في العام القادم حتى يتم ...

ليلى (مقاطعة بصوت عصبي) : أمي ، أرجوك . لا تتحدثي في هذا الامر . انه يعنيني وحدي (تخرج غاضبة) .

أم نزيه : يا ربي ... بت لا أفهم شيئا . انني لا أفهمهم ولا يفهمونني ... عفوكم يا أولادي . لا أستطيع أن أحتمل بعد . ولكن.. ما دمتم لا تريدونني أن أخاف عليكم ، فسأصمت (تنادي) ليلى ، ليلى . لا بأس . عودي يا ليلى . سأمتنع عن هذا الحديث (تعود ليلى خافضة رأسها) .

نزيه (ضاما اليه أمه) : انني أفهمك يا أم نزيه . ولكنني أرجوك أن تفهمي أنت أيضا هموم هذا الجيل .

فتحي (بخبث) لعل السيدة أم نزيه تخاف على هشام الذي كان يعيش ...

هشام (مقاطعا) : عيشة ناعمة مرفهة ... اليس كذلك ؟ أليس هذا ما تريد أن تقوله ؟ ولكن لماذا ؟ (يرتفع صوته) لماذا تريدونني أن أظل مسمرا في ماضي ؟ لماذا تعتقدون انني لا أستطيع أن أتغير ؟ لماذا ترددون ان طالب الطب المرفه سيبقى على طبعه ، مهما حاول ، ومهما رأى ؟...

نزيه : هدىء أعصابك ، هشام . فتحي لا يريد الا المزاح ..

هشام : لا .. ليس هذا مزاحا . انه لا ينقطع عن تعييري بالماضي (يلتفت الى فتحي) هذه الاصابع (يفتح يديه) ليست في خشونة أصابعك . ولكنها مع ذلك تلطخت بالدم الحقيقي ، لامست حروق النابالم على أجسام الاطفال الطرية ، احترقت بلهيب تلك الحروق .. كنت طوال تلك الليالي أحس عليها نار الحروق .. وهي حتى هذه اللحظة ترتعش ! (صمت) ألا تعتقد ، فتحي ، انني في تلك الايام الرهيبة ، نسيت كل ألوان الرفاهية ، أن طالب الطب المرفه خرج يعمّد حياته بفظائع لم تعرفوها أنتم ، خرج يعيش قبل الاوان وجه الحياة الفظيع كأنه انتقام من ماضيه ، هذا الذي تعيرونه به ...

فتحي (باسما) : حسنا ، حسنا . لقد نجحت في اثارتك . أتعرف لماذا ؟ انني أزداد اعجابا بك حين تثور !

نزيه : أرجو ألا نعود الى اختلاق مثل هذا الجو . اننا هنا جماعة واحدة . لقد نذرنا أنفسنا لعمل واحد ، على ما بيننا من اختلاف . ان امامنا أياما قاسية . فلا ينبغي أن نواجهها وبيننا نزاعات ..

سعيد : ليست هذه بالنزاعات ، نزيه . انها لا تؤثر على هدفنا المشترك ، بل هي دليل حيوية وتميز في الشخصية .

الام : نزيه .. هل حدثت أخاك زياد بما رجوته منك ؟

نزيه : انني أراك قلقة عليه أكثر مما ينبغي يا أم نزيه .

الام : رجوته أكثر من مرة أن يظل منشغلا بدرسه .. ولكن ...

نزيه : وبم أجاب ؟

ليلى : انه لا يجيب بشيء .

نزيه : ان زياد فتى صغير .

الام : ألا ترى يا ابني انه يكبر بسرعة ؟ انه شديد الاهتمام بتلك الامور ...

ليلى : هذا طبيعي يا أمي . انك دائما تحدثيننا عن هذا البيت ، ورب هذا البيت ، وتاريخ هذا البيت ... فهل تتصورين ان بامكان زياد أن ينقطع عن جذوره ، حتى لو أراد ذلك ؟

نزيه : لا تخافي يا أم نزيه . ليس من خطر عليه .. انه بالفعل لا يزال صغيرا .

الام : أوه ، صغير ، صغير ... لا أسمع الا هذا عنه ، وقلبي يحدثني بغير ذلك . لماذا اذن تراه حريصا هذا الحرص على لفائكم ومتابعة أنبائكم ؟ انه ينتظر عودتك يا ابني بلهفة تفوق لهفتي .

نزيه : انا أخوه الاكبر ، ومن حقه أن يخاف علي .

الام : ولكن ... هل نظرت في عينيه هذه الايام ؟

نزيه : ماذا تقصدين ؟

الام : ان فيهما بريقا جديدا لا أعهده . بريقا كنت أرى مثله في عيني أبيه حين كان يودعني ليخرج برفقة اخوانه الى معركة مع اليهود لم نكن نعرف أيعود منها سالما أم لا يعود . بريق من يريد أن يصبح رجلا !

ليلى : أمي ، كل الصغار يطمحون أن يصبحوا كبارا !

الام : أوه ، ليلى .. دعينا من نظرياتك التربوية ! (تنهض) ساعد لكم القهوة (ملتفتة الى نزيه) ولكن عدني يا حبيبي أن تقنع أخاك بالانصراف الى درسه .

نزيه : حسنا . سأحدثه ولتسلم يداك مسبقا على القهوة . أريد أن أستبقي منها على لساني نكهة أصابعك يا أم نزيه (ينحني فيقبل أناملها فتقبل هي رأسه ثم تخرج) أسبوع لم نذق فيه فنجان قهوة (بلهجة من يتنبه) أرجو ألا ننسى أنفسنا أيها الرفاق . ينبغي ألا نطيل البقاء هنا . لا بد أن يطوق العدو المنطقة بعد الكمين الذي نصبناه عند الفجر .

ليلى : هل قتلتم أحدا ؟

نزيه : بالطبع . رأينا ثلاثة من جنودهم يسقطون داخل سيارة الجيب .

فتحي (مشيرا الى الياس) : كان هو الذي أصاب اثنين منهم .

نزيه : ان الياس هو أمهرنا في التصويب !

سعيد : هذا طبيعي ممن يتدرب على الرماية منذ كان في الخامسة عشرة ، منذ رأى أباه يصفع !

الياس : ألا تعجبون اذا قلت لكم اني رأيت في وجه الجنـــدي الاول الذي أطلقت عليه النار ملامح من وجه ذلك اليهودي الذي صفع أبي ؟ أقسم لكم بذلك ! كأنه هو ، أو كأنه ابنـــه . لست أدري كيف تذكرته ، بعد عشرين عاما . لقد تمثلتني ، وأنا في المكمن ، صبيـــا في الخامسة عشرة ، ينظر الى أبيـــه وهو يتلقى صفعة ذلك اليهودي الذي انبثق في أرض بيارتنا ، فلا يفعل شيئا الا أن يبكي ، ثم يستسلم ليد أبيه ، فيسيران ذليلين ، يطردهما اليهودي بالصراخ والشتـــائم ويهددهما بالقتل . ووجر اليوم ، كان ذلك الصبي هو الذي يصوّب البندقية ويطلق النار على رأس جندي يشبه ذلك اليهودي ، ويقـول لنفسه انه الآن يرد صفعة أبيه رصاصة . خذها يا ابن اللئيمة ، في رأسك ، بين عينيك ! واذ سقط الجنـــدي ، أحسست كأن يدا تربت على كتفي ، كأنها يد أبي . وأطلقت النار على الجندي الثاني ، بينما كان فتحي يصيب جنديا ثالثا ، قبل أن تتمكن سيارة الجيب من الفرار.

سعيد : أما أنا ، فلم تتركا لي أحدا أصيبه ! (يضحكون) .

الياس (متمما) : وحين اختفت السيارة ، أحسست بسكينـــة عجيبة تهبط علي ، وفجأة انبعثت في أنفي رائحة الارض . رائحة غريبة كانت تملأ بيارتنا ، وكنت من قبل أعجز دائما عن تذكرها ... وانشـالت على عيني صور البيت والحقـــل والساقية والبئر وشجر الزيتـون والبرتقال ، فأسبلت جفـــوني كأني أود أن أحتفظ بهـــذه الصـور الى الابـد .

ليلى : انها صور تعمر خيالات مئات الالوف من الذين نزحوا من أرضهـم ..

سعيد : ولكنها تنتمي الى ذلك النوع من الاحلام التي لا يمكن الا أن تتحقق ، لانها مشدودة الى جـــذور الارض ، منبثقة من أغصـان الشجر ، ممزوجة بعبير الليمون .

فتحي (ضاحكا) : أخشى أن ينسينـــا الشعر قسوة الواقع ! (لحظة) هل ترون أن نخرج الآن ؟

هشام : نشرب القهوة ثم نخرج .

نزيه (لليلى) ليلى ، قبل أن تعود أم نزيه ، ألا تعتقدين انهـــا على حق بشأن زياد ؟ بدأ يقلقنـــي أنا أيضا ، وان كنت أحـاول أن أخفي ذلك .

ليلى : الحقيقة انني أحاول عبثا اخراجـــه من صمته . انه في غيابكم يصاب بالخرس . لا يوجه الي كلمـــة ، كأنني لست أخته . أو كأنني لست تلك المخلوقة التي تتحرق الى أي انسان تحدثه في هـذا الفراغ الذي تخلّفه حين تغـــادر المنزل . يصمت ويصمت كأنه في غيبوبة ، كأنه معكم ، يرافقكم في حركاتكم وتنقلاتكم ، يقطع معكم الفيافي والاودية ، يتربص ويكمن ويحبس أنفاسه ويقذف المتفجرة ويضع القنبلة الموقوتة على الخط الحديدي . يصمت كأنه عازم على ألا يتكلم بعـــد أبدا ... وهو يقضي وقته كله في القراءة ، لا في كتبه المدرسية ، بل في تاريخ القضية وتطوراتها .

هشام : أما أنا ، فقد حدثني منذ دقائق .

نزيـه : متى ، وماذا قال ؟

هشام : دخلت عليه غرفته دون أن تلحظوا غيابي . كل ما قـاله انه يريد أن ...

(فجأة يطرق الباب طرقا عنيفا ، ويرتفع من خلفه صوت يقول : « افتحوا فورا والا كسرنا الباب » . يشير نزيه الى رفاقه ، وينسحب معهم بسرعة الى غرفة النوم اليمنى . تبادر ليلى الى لف الصحـــون والاطباق بالخوان المبسوط على الارض وتحمله الى المطبخ . يطـــرق الباب مجددا طرقات أعنف ، ويرتفع الصوت مهددا هـــذه المرة بنسف البيت كله . تعود ليلى ويبدو عليها التردد وهي تنظر الى باب المطبخ ، حيث كانت أمها قد دخلت ، وباب غرفة النوم اليمنى الذي أغلقـــه نزيه خلفه . ثم تتقدم برباطة جأش فتفتـــح الباب الخارجي . يبرز ضابط اسرائيلي ، والى جانبـــه أربعة جنود اسرائيليين والجميـع شاهرون رشاشاتهم . تخرج الام مذعورة من المطبخ) .

المشهـد الثاني

الام ، ليلى ، الضابط الاسرائيلي ، أربعة جنود اسرائيليين

الضابط (شاهرا مسدسه) : لا تأتوا بأية حركة ، والا أطلقنـا النار فورا (يجيل نظره في القاعة) في هذا البيت واحد من المخربين. اذا لم يستسلم على التو ، نسفنا البيت بمن فيه !

الام (بصوت مرتجف) : ليس عندنا ...

الضابط (بلهجة سريعة) : لا فائدة من الانـــكار ، نحن على يقين من ان مخربا موجود في هذا البيت !

الام (بصوت يزداد ارتجافا) : أؤكد لكم ...

ليلى (مقاطعة ، كأنها اتخذت قرارا حاسما) : اسمعي يا أمي .. لا فائدة من الانكار حقا . (للضابط) لحظات أيها الضابط . سأدخل وأقنعه بالاستسلام . (تنتقل نحو باب غرفة النوم اليمنى) .

الام (صارخة) : ليلى ...

ليلى (ملتفتة الى أمها ، ناظرة اليها نظرة صارمة) : أمي !

الضابط : لا تحاولوا أية مناورة . ان كتيبة كاملة من قواتنـــا تحيط بالمنطقة .. ولن يصعب عليها أن ...

(ينفتح فجأة باب الغرفـــة اليمنى ، قبل أن تبلغه ليلى ، ويبرز على عتبته زياد ، رافعا ذراعيه علامة الاستسلام ، حاملا باحداهمـــا بندقية حربيـة) .

المشهـد الثالث

الام ، ليلى ، الضابط الاسرائيلي ، أربعة جنود اسرائيليين ، زياد

زياد : انني أستسلم !

الام (صارخة) : زياد .. ابني .. انه ولدي ، وليس هو ..

ليلى وزياد (مقاطعين معا) : أمي !

ليلى : بلى يا أمي . لا فائدة مـــن ... (تختلس النظر الى باب الغرفة اليمنى)

زياد (للضابط) : لا أريد أن أقوم هنا بمعركة . ان حياة أمـــي وأختي وبيتهما أعز علي من حريتي .

الضابط (يشير الى جنديين فيتقدمان ويمسكان بزياد ، بينمـا يأخذ جندي ثالث بندقيته) : ماذا ؟ تمارس التخريب وأنت في هـذه السن ؟ (يجس ذراعـــه بأصابعه) أنت ما تزال رخص العود ... لم يبق عندكم رجال ؟ (تنفرج أساريره وينفجر ضاحكا) ومتى كـــان عندكم رجال ؟ يصمت لحظة ثم يلتفت فجأة الى ليلى) ليس عندكـم الا نساء ، نساء جميلات أحيانا ! (يدنو مـن ليلى فتتراجع ، فيزداد منها قربا) هل أخيفك يا .. جميلتي ؟ (تصرخ الام وهي تنهار عـــلى كرسي قريب) .

زياد (محاولا أن يتخلص من قبضة الجنديين) : دعها وشأنهـا ! أتيتم تطلبونني ، فخذوني . ولنتركهما في أمان !

الضابط : حسنا ، حسنا ، لا يأخـــذكم الذعر ! قصدت الـى المزاح ، فليس لدينا الآن وقت للغزل ! (مستدركا) لعل ذلك سيأتـي فيما بعد ! (بلهجة جادة) حسنا فعلت باستسلامك . معنا جميـع معدات النسف . غير انني لم أكن أتصور أن يكون المخرب الخطيـر الذي تتحدث عنه تقاريرنا هو هذا الفتى الذي لا يتجاوز ... قل لي : كم هي سنك ؟

زياد : لست طفلا الى الحد الذي تظن . انني في السابعة عشرة .

الضابط : أكاد لا أصدق ذلك .. متى أتيـــح لك أن تتـدرب وتقوم ... بعمليات التخريب تلك ؟ ولكن لا بأس ! ستقوم أجهزتنـــا بالتحقيق في ذلك ، فيما بعد ...

الام (بلهجة متقطعة) : لم يقم ... بأية ... عملية ..

الضابط : حسنا .. حسنا ! نسمع هذا من جميع الامهات !

ليلى : حين تقومون بالتحقيق ، تظهر لكم هذه الحقيقة .

الضابط : اذا لم يكن هو المخرب المطلوب هنا ، في هذا البيت ، فأين هو المخرب الحقيقي ؟ أيكون مختبئا في ثقب ما من البيت ؟

ليلى (برباطة جأش) : تفضلوا وانبشوا ثقوب البيت !

الام (مغمضة عينيها وهي مسترخية على الكرسي) : يا الهي !

الضابط (يشير الى جنديين) : أدخلا ففتشا هنا (يومىء الى المطبخ . يدخلان المطبخ ، بينما يخيم الصمت على الجميع ، ويتبادل زياد وليلى نظرة مذعورة خاطفة ، حابسين أنفاسهما . يخرج الجنديان فيومئان برأسهما علامة النفي) حسنا .. أدخلا هنا (يشير الى باب الغرفة اليسرى ، ولكنه يستدرك بسرعة بعد أن نظر في ساعته) : أوه .. عودا ... لقد تأخرنا الآن ، وأمامنا خمسة بيوت أخرى (يتنفس زياد وليلى الصعداء) تكفينا هنا هذه الغنيمة (ينظر الى زياد) وربما كانت لنا عودة (غامزا أحد الجنود) لنحصل على غنيمة أدسم ! (مختلسا النظر الى ليلى) .

الام (ناشجة بالبكاء) : لكنه ولدي ... ليس هو ...

زياد (للضابط) اسمح لي فقط ، قبل أن تأخذوني ، أن أعانق أمي ..

الضابط : لا بأس . أنتم العرب مشهورون بعاطفيتكم !

ليلى : نحن عاطفيون لاننا انسانيون .

الضابط (ملتفتا الى الجنود ، باسما) : ليست صديقتنا جميلة فحسب ، بل هي أيضا فيلسوفة !

ليلى (وكأنها لم تسمعه) : أما أولئك الذين يتنكرون اللانسانية ، أولئك الذين يستثيرون عطف الآخرين بالتضليل والاكاذيب ، فانهم ...

الام (بلهجة لاهثة) : ليلى ، حبيبتي .. (تنظر الى زياد)

ليلى (ناظرة بدورها الى زياد) : عفوا ، زياد ! (للضابط بلهجة جافة) انه بين أيديكم . هل تنتظرون شيئا آخر ؟ (يبدو عليها القلق ، ولكنها تمتنع عن اختلاس النظر الى الغرفة اليمنى) .

(زياد يقترب من أمه فيعانقها دون كلام وهي تبكي)

ليلى (معانقة أخاها بسرعة ، مجالدة نفسها) لا بد أن نلتقي قريبا ، زياد .

الضابط (بلهجة سريعة) : هذا غير مستبعد على الاطلاق ! لكنه متوقف عليك أنت بالدرجة الاولى !

ليلى (ترميه بنظرة احتقار ، ثم تلتفت الى أخيها) : لتحرسك عناية الله ، زياد !

الضابط (مشيرا الى الجنود الممسكين بزياد ، ثم ملتفتا الى ليلى) : الى اللقاء اذن يا آنسة ... ليلى !

(تسرع ليلى فتصفق باب الخروج خلفهم بقوة وعصبية ، تتوقف قليلا في وسط الحجرة ، متطلعة الى باب الغرفة اليمنى . يرتفع نشيج الام تدريجيا فيما يهتز جسدها . تتجه ليلى الى أمها ، فتتعانقان وتأخذان معا في بكاء شبه صامت .

تمر دقيقتان ، ثم تسمع جلبة داخل الغرفة اليمنى ، وأصوات مكتومة . ثم يبرز هشام على الباب يمسك باحدى ذراعيه نزيه ، وبالاخرى فتحي ، وخلفهم الياس وسعيد .)

المشهد الرابع

الام ، ليلى ، نزيه ، هشام ، فتحي ، الياس ، سعيد .

(يحاول هشام أن يتخلص من نزيه وفتحي اللذين يمسكانه من ذراعيه ، ولكنه عبثا يحاول . تمضي لحظة صمت) .

هشام (لليلى) : كم كان عددهم ؟

ليلى : خمسة . لماذا ؟ ماذا هناك ؟

سعيد : انه يريد أن يخوض معهم معركة . ولو وحيدا .

فتحي : ونحن جميعا غير موافقين .

نزيه : ان قوانا غير متكافئة . ثم أننا لا نريد أن نعرض هذا البيت للدمار . سيعودون لكي ينسفوه ، اذا خضنا معهم أية معركة . سواء أكان النصر حليفنا أم الهزيمة . ولذلك فنحن لا نوافق هشام .

هشام (بنبرة غضب) : ولكن كيف توافقون على أن يأخذوا زياد ، هذا الذي أراد أن يفتديكم بنفسه ، وهو لا يحسن بعد حمل بندقية ؟ أتتركونهم يقتادونه من غير أن تحركوا ساكنا ؟ وما الذي لا يجعلكم تعتقدون انه انما خرج اليهم ، لا لكي يستسلم ، بل لكي يتيح لكم أن تستعدوا للمعركة وتباغتوهم فيما هو يحاورهم ؟ وما يدريكم انه لا يعاني الآن خيبة شديدة من موقفكم ، بل ندما على انه قام بهذه التضحية التي ... لا تستحقها ؟

ليلى : مهلا ، هشام ! لقد استسلم وهو يقول انه لا يريد معركة في البيت ، وان حياة أمه وأخته أعز عليه من حريته .

هشام : يستطيع أن يقول هذا أيضا دون أن يعنيه . ربما كان ذلك من قبيل المحاورة لتخديرهم وتضليلهم ، ريثما نستكمل استعدادنا للهجوم ..

نزيه : ليس هذا هو الغرض الوحيد ، ثم ان ذلك اجتهاد منه ليس من الضروري أن نلتزم به ، اذا صح انه قد خطر له . يجب علينا أن نتدبر عملنا بحكمة ، بروية .

هشام : الحكمة والروية ... كلمتان لا أحب أن تجولا كثيرا في فم الثوار !

نزيه : أنت تخطىء ، هشام ، اذا اعتقدت أن الثوري فوضوي !

هشام : لكن الثوري لا يقبل الاستسلام !

نزيه : هذا يتوقف على المقصود بـ « الاستسلام » . (صمت) الظاهر في حركة زياد انها استسلام ، لكننا اذا تعمقنا معناها وجدناها تبلغ من الثورية ذروتها .

فتحي : لعله فكر بأن انقاذ خمسة فدائيين مدربين أشداء ، بينهم أخوه وابن عمه ، يستحق تضحية فتى مثله ...

ليلى : هذا تماما ما خطر لي حين سمعت ذلك الطرق الشديد على الباب ... التمعت هذه الفكرة في ذهني كأنها من ضمير الغيب ، فتوجهت الى الباب لافتحه وأنا مقتنعة بأن زياد سيقبل الفكرة حين أطرحها عليه . لكنه لم ينتظرني . أتى يعلن تسليم نفسه قبل أن أنبس بكلمة واحدة .

الام (بلهجة باكية) : لهفي عليك يا زياد !

نزيه : أم نزيه ، كنت تحدثيننا طويلا عما عانيته مع أبي حين كان في جيش الانقاذ . فلتذكري اننا ، من صمودك ومقاومتك ، سنستمد صمودنا ومقاومتنا ...

الام : صمدت يا نزيه أكثر مما أحتمل .. لا أستطيع أن أراكما تذهبان معا ، أنت وهو ... انني أحس بالانهيار في جسمي وروحي .

نزيه : لا ، أم نزيه . تعلمنا منك الصلابة وقوة النفس . ولن تتخلي عنهما الآن لمجرد انهم أخذوا زياد . أقسم لك بشرف أبي ونضاله أن انقذه وأعيده الى البيت .

الام : ولكنني أخشى أن ... يعذبوه !

هشام (بلهجة سريعة) : هذا ما أخشاه أنا أيضا ! (يحس انه اخطأ حين ينظر الى الام وهي تتنفض) أقصد أخشى أن يضطر الى الافضاء ... ببعض الاسرار .

نزيه : انه لا يعرف شيئا يفضي به .

هشام : لكن هذا لن يمنعهم من أن ...

نزيه (مقاطعا) : كفى هشام . وساوسك في غير محلها . ثم انه قد فات الاوان . لقد ابتعدوا الآن . وسنعرض أنفسنا لاخطار كبيرة اذا أردنا اللحاق بهم .

هشام (بلهجة غضب وأسى معا) : لكن .. كيف نسمح لهم بأخذ زياد ؟

ـ التتمة على الصفحة ٥٠ ـ

زهرة مـــن دم

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٢ ـ

نزيه (بلهجة حاسمة) : هشام ، أطلب اليك أن تلتزم الصمت . هذا أمر ! (فترة) انك تثبت مرة أخرى انك انفعالي . ونحن متفقون منذ البدء ألا نفسح للانفعال مجالا يملي علينا سلوكنا !

هشام (بصوت منخفض) : أعتذر أيها الرفيق !

(جو من الوجوم)

نزيه : لا بد من الاعتراف بأني ارتكبت خطأ . كان ينبغي أن يبقى بعضنا في الخارج للرصد والترقب . (صمت) لا مفر لنا من أن ندفع ثمن أخطائنا . هذه المرة ، كان الثمن حرية أخي .

الياس : من يدري . لعل هذا خير . لو بقي بعضنا في الخارج لنشبت مع العدو معركة لا نملك الآن وسائلها . كنا سندفع ثمنا أفدح.

نزيه : هذا تبرير يأتي بعد الحدث . كان ينبغي أن نفكر بـــه ونقدره قبل ذلك . ان خطأ التقدير اجتهاد يمكن تبريره .

ليلى : نزيه ، لا تحملوا ضمائركم أكثر مما تحتمل . اننا جميعا معرضون للاخطاء . لكن بعضها قد يجنبنا الكوارث .

(الام واضعة رأسها بين يديها تهتز بالنحيب)

نزيه : طريقنا مليئة بالعقبات والاشواك . وفي كل منعطف شرك . وليس من وسيلة لتجاوزها جميعا الا بالتضحية . (صمت) ولئن كان أحدنا مستعدا أن يضحي بنفسه من أجـــل التحرير ، فينبغي له أن يقبل مبدأ التضحية بأخيه أو بأخته أو بأعز الناس عليه . (لحظة) كنا في الماضي نتحدث طويلا عن وجوب التضحية ، فاذا استحـــق اداؤها تراجعنا . أما اليوم ، فلا بد من أداء الدين والانقطـاع عـــن الكلام . لفتحي والياس وسعيد) أخرجوا فاستكشفـوا لنا الطريق . يجب أن نرحل . (لامه) أم نزيه ، أتسمحيـــن لي بدقائق ؟ أريد أن أتحدث اليك (يقترب منها فيتناول ذراعها ويدخلان الغرفة اليمنى)

(يفتح الياس باب الخروج بحذر ، ثم يومىء الى فتحي وسعيد . يخرجـــون) .

المشهد الخامس

ليلى ، هشام

(يبقيان صامتين فترة)

ليلى : أنت أيضا تصر على التزام الصمت ؟ أيكون الصمت صفة لازمة من صفات الفدائيين ؟

هشام : تريدين الحقيقة يا ليلى ؟ أنا المسؤول عما حدث !

ليلى : ولماذا ؟ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

هشام : أنا الذي اقترحت عليهـــم أن نأتي فنقضي هنا فتـرة استراحة ، ونهدىء الجوع الذي كنا نعانيه .

ليلى : وماذا في ذلك ؟ ألم يوافقوا جميعا على اقتراحك ؟

هشام : عارضه فتحي . رأى من الحكمة أن نبتعد عن البيت في هذه الفترة بالذات . (فترة) كان على حق .

ليلى : وما كان موقف نزيه ؟

هشام : لم يعلق بشيء ، كان يريد مجاملتي .

ليلى : كما فعل الآن ...

هشام (منمما) : ليتيح لنا ولو لقاء قصيرا .

ليلى : تماما . بالرغم مما حدث . لا أعرف من هو ارهف منـــه احساســـا ..

هشام : أعاني ، منذ أخذوا زياد ، عبئا على ضميري ..

ليلى : من أجل ذلك تصر على خوض معركة لانقاذه ؟

هشام : نعم .

ليلى : ولكن نزيه على حق . كنتم ستعرضون زياد للقتل .

هشام : ليس بالضرورة . لكن الذي لا شك فيه اننا نعرضه الآن للتعذيب .

(تصمت ليلى في أسى . فترة)

ليلى : أثبت في الايام الاخيرة انه صلب الارادة .. ثم انه لـن يفيدهم شيئا .

هشام (يدنو منها فيأخذ يدها بين يديه) : ليلى ... استمعـــي الي . لعل هذه فرصة أفضل لتحقيق مشروعنا ..

ليلى : كنت أتوقع يا هشام أن تحدثني في هذا (فترة) بل كنت مصممة على أن أفاتحك في الموضوع اذا امتنعت أنت .. (صمت) لكن هذا كان قبل أن يأخذوا زياد ..

هشام : ذلك لا يغير في الامر شيئا !

ليلى : أشك كثيرا . بل أميل الى أن أعتبر الزواج الآن أمـــرا سابقا لاوانه .

هشام : وجهة نظري هي أن أكون أقرب اليكم من السابق فيهذه الفترة بالذات . لعل وجودي بينكم ...

ليلى : فهمت قصدك ، هشام ... ولكن كيف تواجه أمي هـــذا الامر ؟

هشام : أقيم معكم ، بدلا من أن نستقل ببيت خاص ، كما كنـــا عازمين . لكني لن أنقطع طبعا عن العمل مع الرفاق ، ولو بشكل آخر.

ليلى : أن تنظر أمي ، فترى أنك قد حللت محل زياد ...

هشام : لا يمكن أن تفكر على هذا النحو .

ليلى (ساهمة) هل تلاحظ ، هشام ، ان جو الفرح والبهجة لـم يخيم منذ أشهر طويلة على هذا البيت ؟ أتساءل أحيانا : هل الحياة ، والحالة هذه ، جديرة بأن تعاش ؟

هشام : لا ، ليلى . لا أريدك أن تستسلمـــي لمثل هذه الروح . (صمت) أتذكرين ما الذي كنت تقولينه لي اذ كنت ترينني حزينـــا بعد أحداث العام الماضي ؟ أما كنت تتساءلين : ما عسى أن يكـــون موقفك لو كنت في الاربعين أو في الخامسة والاربعيـن ؟ ألست أنت التي شجعتني على الانقطاع عن الدراسة والانضمام الى نزيه ورفاقه ؟

ليلى : بلى ، هشام ، ولست نادمة على ذلك ، ولكنني أعبر لك عن مخاوفي الحالية . بدأت منذ الآن أتصور الجو الذي سنعيش فيه أنا وأمي ، في هذا البيت الذي غادره رجـــاله (لحظة) حين يهبط الليل هذا المساء ، ستقول لي أمي ، من غير أن تنظر في عيني : هل خطر لك يا ليلى اننا سنقضي الليلة وحدنا ، أنا وأنت ، بلا رجل في هذا البيت ؟ وستضيف قائلة : ان هذا يحدث لاول مرة ، منذ أعـوام طويلة ، منذ وفاة المرحوم أبيك ... وستصمت أمي بعد ذلك لتقضي الليل كله مفتوحة العينين تحدق في الظلام . (صمت) لست يائسة يا هشام ، ولكني أحدثك عن الايام التي تأتي ..

هشام : من أجل ذلك أحسب انك ستكونين بحاجـة الي يا ليلى أكثر من الماضي .. وهذا ما يدفعني لتجديد اقتراحي (صمت) . لدي أنا كذلك شعور عميق متأصل في نفسي ، هو احساسي بالحاجة اليك أكثر فأكثر حين أواجه المصاعب . أجدني أشد تذكرا لك وأعمق حنينا في المخاطر والازمات . أتعرفين ؟ كانت صـــورتك أول ما طاف بذهني حين سمعنا انفجار القنبلة التي وضعناها على باب المولد الكهربائي . قلت في نفسي ان ليلى ستسر بالنبأ ...

ليلى : لكن هل فكرت ، هشام ، انني أعيش الخوف الكبير كلمـا سمعت بلاغا من المنظمة يتحدث عن استشهاد بعض الفدائيين ؟

هشام : أفهم ذلك يا عزيزتي . من يدري ؟ أليس طبيعيا اذن أن أطمح في هذه الساعة الى امتزاج حياتينا امتزاجا كاملا ؟ الزواج لايعني لي يا ليلى متعة وسعادة فحسب . انـــه شركة كاملة ومعاناة للحيـاة متبادلة .

ليلى : انتظرنا طوال هذه الاشهـر ، هشام ، وأرى الآن أن ننتظر

فترة أخرى .

هشام : تقصدين حتى يتم التحرير ؟

ليلى : ليس التحرير على بعد خطوة أو خطوتين . لا بد لنا ، على الاقل ، من أن ننتظر عودة زياد ..

هشام : سيعود زياد يا ليلى .. (يتناول يدها) وسنلتقي عما قريب (يقلب كفها وينحني فيقبل راحتها) ان القلق سيملأ ساعاتي منذ الآن ، فأنا لن أكف لحظة عن التفكير بك من أجل زياد ، وعن التفكير بزياد من أجلك .

ليلى : أخشى الايام المقبلة يا هشام . أخاف أن نكون على عتبة تجربة قاسية ستملأنا أسى وعذابا .

هشام : يجب أن نتعاهد مرة أخرى على الصبر والصمود . أقسم ان كل شيء يهون حفاظا على هذا الحب : حبي لارضنا وحبي لك . انهما حب واحد . كثيرا ما أتلوى شوقا وحنينا اليك فيالليالي المظلمة . ولكن حسبي أن أشعر بدفء التراب فوق الارض التي أضطجع عليها لتهدأ نفسي (صمت) أنت أرضي الخيّرة ، أرضي الصغيرة . والارض هي أنت يا حبيبتي (تشد على يده في حنان ، يحاول أن يعانقها ، فتبتعد عنه برفق) .

ليلى (هامسة) تنسى انهم هنا ! (تشير الى باب الغرفة فيتراجع عن محاولته ولكنه يحتفظ بيدها) ولكن قل لي ، هشام : ألا تعتقد ان امامنا أياما طويلة من الدموع والآلام والفداء ؟

هشام (بعد لحظة صمت) : أتدرين يا ليلى ؟ راودتني هذه الفكرة منذ أيام ، حين كنت والرفاق نعبر واديا موحشا لجأنا اليه ، اذ كانت احدى طائرات الهليكوبتر تطاردنا . وذات لحظة احسست بالتعب ، بل ببعض الاسى يتسرب الى نفسي من غير أن افهم مبعثه . وقلت لسعيد انني بدأت أخشى المستقبل ، وان أياما من الآلام تنتظرنا . وبينما كنا نتداول في هذا ، لمحت على جانب ساقية اعترضت سبيلنا زهرة غريبة لم أشهد مثلها من قبل . كانت زهرة حمراء قانية اللون ذات أوراق دقيقة ، تنبثق بين كثير من الزهور المختلفة الالوان التي نشاهدها في كل مكان . وكانت تبدو متوحدة ، غريبة .. وقد نبهت سعيد اليها ، فوقف يتأملها ثم قال : عجبا . انها تكاد تكون زهرة من دم . ولا أدري لماذا ذكرتك على الفور . وتساءلت في رعشة : أي وجه للشبه بين زهرة الدم هذه وبين ليلى ؟ ولم أحدث سعيد بهذه الفكرة . أردت أن أحتفظ بها لنفسي ، سرا صغيرا ، دافئا .

ليلى (ساهمة) : زهرة من دم ؟ عجبا ...

هشام : أؤكد لك يا ليلى انها كانت زهرة حقيقية ، ولو لم يرها سعيد لظنني واهما . (لحظة) ها أنت تذكرينني بها الآن حين تقولين ان أمامنا أياما طويلة من الدموع والآلام والفداء . (صمت) نصوري الايام القاسية التي لا بد أن نعيشها يا ليلى . تصوري أشعة الشمس التي تنصب علينا محرقة حين نعود الى السهول والجبال ، وتصوري برد الليالي السوداء التي ترعش أطرافنا (يميل عليها) ليلى ...

(ليلى تعانقه عناقا حارا من غير أن تنبس بكلمة . طرق خفيف على الباب . يتناول هشام رشاشه ويقف في حالة تأهب . يفتح سعيد الباب ، ثم يدخل ووراءه فتحي والياس . يبرز نزيه على باب الغرفة اليمنى ، وأمه خلفه .

المشهد السادس

الام ، ليلى ، نزيه ، هشام ، فتحي ، سعيد ، الياس

فتحي : ألم تسمعوا تبادل اطلاق النار ؟

نزيه : لا . هل تبادلتم النار مع العدو ؟

سعيد : بل مع شخص كان متربصا غير بعيد ، ثم لاذ بالفرار !

الياس : لا بد اننا ابتعدنا كثيرا عن البيت ونحن نطارده ، والا لسمعتم صوت الرصاص .

هشام : من عساه يكون ؟

فتحي : لا شك في انه أحد المتعاونين مع العدو .

نزيه : جاسوس ؟

الياس : جاسوس ، متعاون ، خائن .. كلها أسماء لمعنى واحد !

فتحي : لمحناه أولا حين اجتزنا المنعطف يهرول في اتجاه الوادي ، فأخذنا نعدو للحاق به . ثم أضعنا اثره في غابة الزيتون . وفيما نحن سائرون بحذر ، فاجأنا باطلاق النار ، ثم تسلل عبر الاشجار .

ليلى : ألم تميزوا بعض ملامحه ؟

سعيد : كان ملثما .

ليلى : منذ يومين كنت متجهة الى منزل عمتي ، فلمحت شخصا واقفا عند المنعطف . وحين رآني تظاهر انه يقرأ صحيفة .. وقد ظننته أحد الفدائيين .

نزيه : انهم أحيانا يتنكرون بأزيائنا لتضليل المواطنين (لحظة صمت) لا بد أن نترصده ذات يوم . أما الآن فيجب أن نسرع في الخروج . لا شك في انه سيشي بنا لدى قيادة العدو . وليس أمامنا الا أن نتغلغل بين الاشجار قبل أن تكتشفنا طائرات الهليكوبتر .

هشام : لا أفهم أن يكون منا جواسيس !

فتحي : ولماذا لا تفهم ذلك ؟ أليسوا موجودين في كل أمة ، وفي كل مكان ؟

هشام : لكن الجواسيس أخطر علينا وعلى نضالنا من العدو نفسه .

الياس : لذلك لا بد لنا من أن نوجه اليهم أقسى ضرباتنا .

نزيه : عملنا في مكافحة الجاسوسية والعمالة لا ينفصل عن عملنا في مكافحة العدو .

هشام : أليس علينا أن نبلغ جهاز الرصد عندنا بأمر هذا الجاسوس ؟

الياس : لن أنتظر حتى يتحرك جهاز الرصد . سوف ألوي عنقه بيدي حين ألتقي به . (لحظة) وقبل أن أدق رأسه ، سأمرغ وجهه بالتراب وأقول له : شم رائحة الارض أيها القذر ! شمها جيدا حتى تكف عن خيانة التراب الذي أنبت جذور آبائك وأجدادك !

فتحي : سعيد ، لم تخبر الرفاق اننا فوتنا فرصة ذهبية !

سعيد : حقا ... حين كنا عائدين رأينا في الطريق المحاذي سيارة للعدو كان يهبط منها الجنود . لعلهم كانوا يداهمون أحد البيوت . وتربصنا خلف شجرة ، وقلت لفتحي انني سألقي عليهم قنبلة . أخرجت بالفعل قنبلة من وسطي ، وهممت أن أنزع فتيلها لالقيها على السيارة . وفجأة أمسك فتحي بيدي ..

نزيه : لماذا ؟

هشام : ماذا حدث ؟

سعيد : أومأ فتحي الى حديقة البيت هامسا : ألا ترى ثلاثة أطفال هناك يلعبون ؟ صحيح انهم بعيدون عن مكان السيارة وانشظايا القنبلة لن تدركهم ، ولكنهم سيصابون دون ريب بالذعر من جراء الانفجار . وكان أن أعدت القنبلة الى وسطي .

الياس : لا أدري ان كانت هذه الوساوس في محلها ...

هشام : لتتذكر تلك الصور التي نشرتها جميع الصحف ، والتي يرى فيها الاطفال وقد أحرقتهم قنابل النابالم ...

نزيه : سنكون قساة في القتال ، لكننا لن نرتكب ما ارتكبوه أبدا ، مهما بلغت المعركة من العنف .

الياس : لكننا لن نستطيع أحيانا أن نتجنب عنفهم الا بمثله ..

نزيه : ليس لنا الخيار ، الياس . ان لنا من تاريخنا ما يعصمنا من ذلك . كأنه قدر مكتوب علينا . لن نستطيع أن نخون هذا التاريخ.

الياس : الامر عندي ليس على هذا القدر من الوضوح . لقد كانوا دائما البادئين بالاعتداء . كان الارهاب طريقتهم المفضلة ، وسيلتهم الاولى لسلبنا الارض ، وطردنا من البيوت . مذعورين أبدا خرج أهلنا من المدن والقرى . كانت قبية ودير ياسين وكفر قاسم في

عيون جميع أولئك الذين نزحوا ، صورة لابشع ألوان القتل والتعذيب. هذا أيضا جزء من الماضي ، جزء من التاريخ ، جزء مما تسميه القدر . قدر كذلك ألا تستطيع الامتناع عن قتل من قتل أباك ، لانه هو ، لـن يمتنع عن قتل ابنك حين تتاح له الفرصة !

نزيه : ما أعتقده ، على أي حال ، ان سلوكنا ، في معركتنـا الطويلة ، لن يكون مبنيا على ردود الفعل ، ولا على الرغبة في الثـأر والانتقام . أننا نطلب العدل وحـده . ومعركتنا معركة حق وعدالة . والآن (ملتفتا الى أمه والى ليلى) لست أدري متى يتاح لي أن أعود . لكن ثقي ، أم نزيه ، انني لن أتأخر طويلا (يعانق أمه ، ثم أخته) .

(يصافح هشام ليلى وهو ينظـر في عينيها متباطئا . الجميـع ينتظرون) .

فتحي (مربتا على كتف هشام) : كفى ، كفى ، هشـام .. راع أوضاع رفاقك ! أشفق على قلوبهم ! (يضحكون)

(يتراجع هشام وهو لا يزال يرنو الى ليلى . يتجه الرجـال الخمسة الى باب الخروج)

الام (بصوت مرتعش) : اذهبوا في حراسة الله يا أولادي . لكن لا تنسوا زياد .

(يخرجون)

ليلى : أمي ، ألا تشعرين بسعادة ان الرجال قد أكلوا اليـوم ، وشبعوا ، وارتاحوا ؟

الام : أخشى أن يكـون أمامهم يا ابنتي كثير من الايام التـي سيجوعون فيها ويتعبون .

ليلى : ولكنهم لن يستسلموا .. أليس كذلك يا أمي ؟

الام : بلى ، ليلى . لن يستسلموا . لن يستسلموا . هـذا يملأني رضى ، ويملأني أيضا خوفا وارتعاشا .

(تنظر الام الى الصورة المعلقة ، وتفعـل ليلى مثلها . فترة . يأخذ جسم الام يهتز كأنما هي تبكي . تنحني ليلى فتحيط كتفيهـا بذراعها ، فتصبحان جسما واحـدا يهتز برعشة النحيب . مـن غير صوت .)

ـ ستـار ـ

الفصـل الثـاني

في مقر قيادة العدو ، في ضاحيـة نابلس ، على بعد قليل من بيت فوريك .

مكتب ذو أثاث حديث . له باب واحـد الى اليسار . آلة تلفون على الطاولة . أريكة وبضع كراسي .

المشهد الاول

الضابط الاسرائيلي ، جنـدي

(الضابط جالس وراء مكتبه يقلب في أوراق . الجنـدي واقف غير بعيد يقرأ)

الضابط : وماذا يقول التقرير الثاني ؟

الجندي : يقول ان مجموعة من المخربين تسفوا ليلة أمس مركـزا للمراقبة عند الحدود ، فقتل اثنان من جنودنا ، وفر المخربون الذيـن تعقبتهم دورياتنا حتى اختفوا .

الضابط : هذا كل شيء ؟

الجندي : كل شيء في التقرير الثاني .

الضابط : وهل هناك تقرير ثالث ؟

الجندي : بل تقريران آخران .

الضابط (بتأفف) : اقرأ أولهما .

الجندي (يقرأ) : « ظهرت اليوم في البلدة والقرى المحيطـة بوادر تمرد شعبي كان من مظاهره اضراب عدد من المحلات ورغبة فـي المقاطعة وعدم التعاون مع اداراتنا . ويخشى أن تمتد هذه الروح بحيث تشمل المنطقة كلها ، فتوقع سلطاتنا في ارتباك لا يساعدها على تسيير دفة الامور على النحو الذي ترضاه . وقد عثر بعض رجال شرطتنا على مناشير تدعو الى اضراب عام . ويقـال ان مظاهرة نسائية ستخـرج صباح غد ، وان ...

الضابط (مقاطعا بعصبية) : يكفي .. يكفي ! (يدق جـرس التلفون ، فيتناوله الضابط) آلو .. نعم .. ماذا تقول ؟ أي مستودع ذخيرة ؟ منا جندي ومدنيان ؟ ومنهم ؟ واحـد فقط ؟ يقينا ، اذا استمروا على هذه الوتيرة ... حسنا ، شكـرا . (يضع السماعة ، محدثا نفسه) انني لا أفهم ماذا أجدانا ذلك الانتصار الخاطف ! هـل انتهت حقا حرب الايام الستة ؟ أراها تتمدد الى ما لا نهاية ... لقد أصبح هذا شيئا لا يطاق ! كل يوم خمس عمليات أو ست ! مـن أيـن ينبع أولئك الشياطين ؟

الجندي : من أرضهم ، سيدي الضابط !

الضابط (غاضبا) : اخرس ! هل سألتك أنت ؟

الجندي (متراجعا) : عفوا ، سيدي الضابط ! حسبتك تسألني.

الضابط (يعود يحدث نفسه) آف .. وأيـن كتائبنا وفرقنا ؟ (يضرب بيده المكتب) أين جيش الدفاع ؟

الجندي : متوزع في جميع المناطق ، سيدي الضابط !

الضابط (منتفضا على مكتبه) : اخرس ! هل سألتك انت ؟

الجندي : عفوا ، سيدي الضابط ! حسبتك تسألني ...

الضابط (يعود يحدث نفسه) : وكيف لنا أن نواجه هـذه الاوضاع كلها ؟ أنعيش عشرين سنة أخرى ، لا نفعل الا أن نتسلح ونبتهل الى أصدقائنا أن يزودونا بالمال والعتاد ؟ لماذا لا يدعنا هؤلاء الكـلاب نعيش في أمان ؟

الجندي : سيدي الضابط ...

الضابط (ينهض باندفاع مكورا قبضتـه في وجه الجنـدي) : ألا تخرس أنت ؟ (يتقهقر الجندي مذعورا) .

الجندي : عفوا ، سيدي الضابط .. حسبتك ..

الضابط (مقلدا صوت الجندي) : حسبتك تسألني .. اخرس ! ومزق هذه التقارير كلها ! (يهم الجندي بتمزيق التقارير) ولكـن ماذا تفعل أيها الشقي ؟

الجندي : أمزق التقارير ، كما طلبت مني ، سيدي الضابط !

الضابط : أنا طلبت منك ذلك ؟

الجندي : نعم ، سيدي الضابط .

الضابط (ماسحا رأسه بيده) : أف .. لا شك انني محمـوم (يتراخى في مقعده) ولكن ينبغي ألا أضعف ! (يستقيم في جلسته) اسمع أنت . أجبني الآن فقط : ذلك الصغير الـذي أسرناه أمس ، ألم يعترف بشيء بعد ؟

الجندي : لا . كأنهم خاطوا فمه !

الضابط : وماذا أثبتت التحقيقات ؟

الجندي : انه ابن أسرة مشهورة بالمقاومة ، أبا عن جد .

الضابط : هل استعملتم معه بعض ... الاساليب ؟

الجندي : هو صغير السن . ونحن نأمل أن يعترف ، بشكـل طبيعي .

الضابط : حسنا . ايتوني به . لعلني أستطيع أن أحل عقـدة لسانه .. (يؤدي الجندي التحية ويهم بالخـروج) اسمع ، اسمع . استدعوا أيضا راشيل (يؤدي الجندي التحيـة ثانية ويهم بالخروج) اسمع ، اسمع . قولوا أيضا لمساعدي ... لا ، لا .. لا حاجة لذلك. (بصوت مرتفع) لماذا لا تخرج ؟ ماذا تنتظر ؟..

الجندي والضابط (مقلدا لهجته) : سيدي الضابط ، حسبتك تسألني ...

الضابط (هاجما على الجندي الذي يفر) : أخـرج مـن وجهـي يا صاحب التقارير اللعينة ! (يخرج الجنـدي مغلقا خلفه البـاب) يقول انه صغير السن ! صغير السن ! هل بقي لديهم من لا يزالـون صغار السن ؟ بدأوا جميعا يعملون .. لا صغير ولا كبير ! انهـم

يرضعون مواليدهم حليب المقاومة .. (مستدركا) أقصد لبن التخريب. لعنهم الله .. ونحن ، الى متى سنصبر عليهم ؟ الى متى ؟ (يلتفت حوله ، يمنة ويسرة) ولكن أين هو ؟ لماذا لا يجيب ؟ الآن وقد احتجت اليه ، يغيب .. يلتزم الصمت .. لماذا أنت أبكم ؟ من يجيبني عن اسئلتي ؟ (يمسح رأسه بيده) انني يقينا محموم .. أنا بحاجة الى راحة .. الى هدوء .. الى بعض الاسترخاء .. الى شيء من النوم . (يضع رأسه بين يديه كأنما لينام . فترة . يطرق الباب . يتململ دون أن يجيب . يطرق الباب ثانية ، يرفع رأسه مذعورا) ماذا ؟ تقرير جديد ؟ (يهدأ لحظة) آف (يدق الباب مجددا) أدخل .

(يدخل زياد يحيط به جنديان ، وهو مقيد اليدين . يومىء لهما الضابط بالخروج)

المشهد الثاني

الضابط الاسرائيلي ، زياد

الضابط (بلهجة ساخرة) : أهلا بالفتى الشجاع ! أهلا بالبطل المقدام ! كيف حالك ؟ (زياد يحدق فيه دون أن يجيب) هل تشكو من شيء ؟ تكلم ، أجب ، قل شيئا ! هل هذا من التهذيب ؟

زياد (بلهجة ساخرة) : أنتم ... تتحدثون عن التهذيب ؟

الضابط (بهدوء) : ولماذا ؟ هل أساء أحد معاملتك ؟

زياد (رافعا يديه بالقيد) : لا ، على الاطلاق . أنظر ، أنهم يكرمونني كل التكريم !

الضابط (بجد) : مهلا ، مهلا .. ان هذه اللهجة لا تنفعك !

زياد : سألتني فأجبت !

الضابط : وهل تجيب عادة على كل سؤال يطرح عليك ؟

زياد : اذا راق لي السؤال !

الضابط : هل يروق لك أن أسألك عن عدد رفاقك ؟

زياد (بهدوء) : ليس لي رفاق .

الضابط (بلهجة تصطنع الهدوء) : مصيبتكم ، أنتم العرب ، انكم لا تكذبون على الناس فقط ، بل تكذبون على أنفسكم ! (ينفجر زياد ضاحكا) ما الذي يضحكك ؟

زياد (يعود الى الضحك) : تتحدثون عن الكذب ، كما لو أن هناك من يستطيع أن ينافسكم فيه !

الضابط (يقترب منه ، وبلهجة تهديد) : خير لك ألا تكون وقحا ...

زياد : بكل بساطة أقرر واقعا ...

الضابط : وما هو هذا الواقع ؟

زياد : هو ان تاريخ دولتكم كله قائم على الكذب والتزييف والخداع!

الضابط : كذاب ! (يصفعه)

زياد : ليس بطولة أن تصفع شخصا قيدت يديه بالسلاسل !

الضابط : وهل من البطولة أن يستسلم شخص كما استسلمت أيها الجبان ؟

زياد (يخفض رأسه) : ليس الاستسلام علامة الجبن بالضرورة .

الضابط : ماذا تعني ؟ (زياد لا يجيب) تكلم ! أيمكن أن نصف هذا بغير الجبن ؟

زياد : ليس عندي ما أجيب به .

الضابط : اسمع أيها الصغير ! لقد صبرنا عليك يومين ونحن نعاملك معاملة الصغار ... فاذا بقيت مصرا على الصمت ، فليس أمامنا الا أن نعاملك معاملة الكبار .

زياد : أرفض أن تعتبروني صغيرا !

الضابط : لسنا وحدنا الذين نعتبرك صغيرا .. ان هناك .. أمك أيضا ...

زياد (منتفضا) : أمي ؟..

الضابط : نعم ، أمك .. لقد طلبت مقابلتي أمس ، وتحدثت بشأنك!

زياد : غير صحيح .. انت تكذب .

الضابط : مهلا ، مهلا .. هدىء أعصابك أيها الصغير ! (يتناول مغلفا على مكتبه ويسحب منه صورة) صورة من هذه ؟ أليست هي أمك .. تصافحني ؟

زياد (منفجرا) : أيها الشرير اللئيم ! حتى أمي تريدون أن تلوثوها .. تريدون أن تلطخوا سمعتها ؟

الضابط (يربت على كتفه) : لا تبالغ .. لا تبالغ أيها الصغير ! ليس هناك ما يسيء الى سمعة أم تقابل قائدا لتطلب منه أن يطلق سراح ابنها !

زياد : أنت لا تعرف أمي (صمت) ولا بد ان اعصابها قد انهارت حتى ترضى بأن تسعى .. اليك .. (يخفض رأسه ، وبلهجة معذبة) لماذا فعلت ذلك .. لماذا فعلت ذلك .. يا أمي ؟

الضابط : أوه .. لا تكن ساذجا الى هذا الحد ، ولا تجعل من هذا الامر البسيط مأساة ! (صمت) اسمع ... اسمع يا .. زياد .

زياد (بلهجة سريعة) : لا أسمح لك أن تنطق باسمي !

الضابط (مبتسما) : لا بأس .. اسمع أيها الصغير .. أشفقت حقا على أمك .. انها امرأة جليلة .. وهي ...

زياد (مقاطعا) : هي لا تحتاج الى شهادة منكم !

الضابط : يبدو انك غير حريص على أن تعود اليها ... المسكينة ! (زياد لا يجيب) أما اذا كنت راغبا في مؤانسة وحشتها ، فليس عليك الا أن تجيبنا عن عدد رفاقك .. وعن أمكنتهم ..

زياد (بجفاء) : أجبتك أن ليس لي رفاق .

الضابط : أنصحك مرة أخيرة (يدق جرس التلفون) آلو .. ماذا ؟ (بصوت غاضب) لا .. لا أريد أن أسمع شيئا آخر .. لا .. كفاني اليوم ! قلت كفاني ! (يغلق السماعة بصخب) يا للشياطين ! افعلوا ما تشاءون ، ان ذلك لن يعود عليكم الا بمزيد من الخراب ! (يلتفت الى زياد ، ثم يقترب منه ويصرخ بوجهه) هل تسمع ؟ مزيد من الخراب ، مزيد من الخراب !

زياد (مبتسما) : لا بأس ! نريد أن نبني لنا عالما جديدا ، دنيا جديدة ، على أنقاض عالمنا القديم !

الضابط : هل تظن أيها الاحمق اننا سنسمح لكم ببناء هذا العالم الذي تتحدث عنه ؟

زياد : وهل تظن أنت اننا سنستأذنكم لكي نبنيه ؟

الضابط (مكورا قبضته) : لم أعرف من هو في مثل وقاحتك ! كلمة أخرى وسأسحق وجهك سحقا ! انكم لا تستحقون العطف .. ولا الشفقة .. ولا المساعدة !

زياد (مقهقها) : آه .. اننا نعرفها شفقتكم .. شفقة دير ياسين وكفرقاسم .. ونعرفها مساعدتكم .. مساعدة وكالة الغوث والامم المتحدة ...

الضابط (ناهضا اليه) : حسنا . وآن لك أن تخرس ! (يهم بأن يوجه اليه قبضة يده ، ولكن الباب يطرق ، فيمتنع عن ضربه) أدخل (تدخل راشيل فتبتسم للضابط وهي تحييه . يشرق وجهه ويبادلها ابتسامتها) أوه .. تأتين في أوانك يا عزيزتي راشيل . تعالي . هذا فتى لطيف (يشير الى زياد) ولكن لديه غرور الشباب ، أو بالاحرى حماقة المراهقة .. على أي حال ، سيحدثك عن رفاقه ، فكوني معه ... لطيفة ! (يغمزها بعينه) انني مضطر الى الذهاب الآن لاحقق في نسف مولد الكهرباء . لا بد أن نقبض على المخربين . وهكذا أخلي لكما المكتب .. فتدبري الامر معه ! يغمزها ثانية فيما هو يغلق الباب خلفه) .

المشهد الثالث

زياد ، راشيل

راشيل (مستندة بجذعها الى المكتب ، واقفة وقفة اغراء) : هل لي أن أعرف اسم صديقنا العربي الجميل ؟

زياد (بلهجة جافة) : لست صديقكم أولا ، ولا يهمني أن تعرفي اسمي ثانيا !

راشيل : ألا ترى انني أستحق منك لهجة أكثر ودا من هذه اللهجة ؟

زياد : لا أطلب منكم شيئا ، وليس عندي ما أقدمه لكم !

راشيل : لا أفهم لماذا تواجهوننا بهذه الروح العدائية ! هل ترون اننا نريد بكم شرا ؟

زياد (ينفجر ضاحكا) : اطلاقا ! انكم لا تريدون لنا الا الخير .. والدليل ... (يعود الى الضحك)

راشيل (تقترب منه) : اضحك ثانية ، أرجوك ! ان ضحكتك جميلة بل لذيذة جدا ، وهي توحي بالاطمئنان (فترة) ولكن... الجو هنا حار ، أليس كذلك ؟ (تخلع سترتها فيبدو قميصها الشفاف وذراعاها العاريتان . يدير زياد رأسه عنها . تزداد اقترابا منه ، وتضع يدها على كتفه) اسمع يا ... زياد ! (يجفل عند سماع اسمه ويبتعد عنها) أعرف اسمك ، فلا حاجة بك الى القلق . ويكفيني بعد ذلك أن أرى انك فتى في نضارة الورد . ولذلك أتساءل ما الذي جاء بك الى هنا ؟ لماذا تحاول أن تفسد حياتك باللجوء الى أعمال العنف ؟ لماذا لا تتمتع بشبابك ؟ هل يعيش الانسان حياته مرتين ؟ (تعود فتقترب منه) أريد أن أساعدك ، لكنني بحاجة الى ثقتك أولا . (تتوقف لحظة ثم تضحك ..) أوه .. انني حقا حمقاء ! كيف أريد أن أكسب ثقتك وأن أساعدك ، ويداك مقيدتان ؟ تعال : هات يديك لافك عنهما القيد !

زياد (يتراجع في نفور) : لا ، دعيني .. دعيني !

راشيل : عجبا ! هذا أول أسير يرفض أن يفك عنه القيد ! هل رأيت سجينا يفتح له باب السجن فلا يقتحمه للفرار ؟ هل رأيت طيرا يمتنع عن الخروج حين يشرع له باب قفصه ؟ ولكن لماذا ؟ (تعود اليه) أريد أن أمنحك الحرية ، لكي تطمئن الي ! (تتناول يديه) تعال ، تعال . (يتركها تفك القيد من غير أن يقاوم) أترى ؟ ها هما يداك طليقتان . تستطيع الآن أن تفكر بحرية . وأن تتحرك كذلك بحرية . والآن ، تفضل ، اجلس على هذه الاريكة ..

زياد : أفضل أن أبقى واقفا .

راشيل : حين يجلس المرء ، يستطيع أن يفكر بمزيد من الروية . تعال ، تعال . (تجذبه من يده وتجلسه على الاريكة) ولكي تكون أكثر اطمئنانا ، سأجلس أنا هناك (تجلس على كرسي ، شابكة ساقيها ، كاشفة عن جزء كبير منهما) والآن ، اسمع يا زياد ...

زياد : أرجوك .. لا تذكري اسمي بعد .. (ينظر الى يديه)

راشيل : ولماذا يا زياد ؟ ألا زلت أوحي لك .. بالخوف ؟

زياد (بصوت خافت وهو لا يزال ينظر الى يديه) لا .. ولكن..

راشيل : وأنت لم تسألني عن اسمي ؟

زياد (مترددا) : سمعت الضابط يناديك « راشيل » .

راشيل : حسنا (تنهض ، ثم تأخذ في السير عبر المكتب بخطى هادئة ، ولكنها مثيرة ، وهو ينظر اليها ، ثم تقترب فتجلس على الاريكة بجانبه) الا تريد أن تعود الى البيت ؟ (ينظر اليها بخوف ولهفة في آن واحد) انك أصغر من أن تحتمل الاستجواب ، أقصد عذاب الاستجواب . وأنا أعدك ، أعدك بتسهيل أمر عودتك بعد وقت قصير.. ولن أدعهم يقتربون منك . بل سأتردد عليك (لحظة) ما رأيك ؟ سأجيئك في الليل (تلتصق به ، فيبتعد عنها) انني معجبة بشبابك.. ويبدو ان لك جسما قويا (تزداد التصاقا به بحيث يعجز عن الحراك وقد بلغ ذراع الاريكة) أقسم لك انك ستعود الى البيت (تحوط عنقه بذراعها وتدني فمها من وجهه) أقسم لك .. (يحاول أن يبعدها عنه فتقع يده على نهدها)

زياد (مرتعشا) : أرجوك .. (يصرف وجهه عنها) دعيني .. دعيني يا ... آنسة !

راشيل (تعود اليه باندفاع) : قل راشيل ! هل ترى ؟ لقد بدأت تثق بي (تحاول أن تعانقه ، فلا يقاوم ، ولكنه لا يستجيب) أية شفتين حارتين شفتاك ! لكأنهما لم تتذوقا بعد أية قبلة .. (تقبّله) هل تريد أن أزورك هذه الليلة ؟ (لا يجيب) تكلم يا زياد .. سأكشف لك عن دنيا لم يحلم بمثل جمالها انسان ...

زياد (يرفع رأسه فجأة كأنه صمم على أمر) : اسمعي يا .. راشيل !

راشيل : قل ما تريد .

زياد : تسألينني عن عدد رفاقي ..

راشيل : ليس هذا بالشيء الهام ..

زياد : سأعترف .. انهما اثنان .

راشيل (بهدوء) : حسنا . وماذا بعد ؟

زياد : لكنك .. وعدتني ..

راشيل : بم وعدتك ؟

زياد : أن تطلقوا سراحي ...

راشيل (ضاحكة بطلاقة) : لكنك تنسى يا زياد ... وعدتك أولا بزيارة في الليل (ينظر اليها صامتا ، وهي تحدق فيه باغراء) على اني عاتبة عليك ...

زياد : لماذا ؟

راشيل (في دلال) : لم تقل لي الحقيقة (ينظر اليها دون أن يجيب) ان مجموعتكم ليست ثلاثة اشخاص ، بل خمسة !

زياد (منتفضا) : هذا غير صحيح !

راشيل (بهدوء) : بلى . ونحن نعرف الآن اثنين من هذه المجموعة ..

زياد (بلهجة غضب واستنكار) : ومن هما ؟

راشيل (باللهجة الهادئة نفسها) : أنت ... وشخص آخر عرفنا اسمه من مراجعة الملفات .. بعد القبض عليك .. أتريد أن تعرف من هو ؟ (يحدق فيها والغضب يمنعه من الكلام) انه .. أخوك نزيه !

زياد (ينتصب واقفا) هذا غير صحيح !

راشيل (بصوت فقد اتزانه) : بل أنت تكذب ، أيها الصغير !

زياد (هاجما عليها) : أنتم الكذابون ! ليس أخي من رفاقنا ! (يحاول أن يمسكها من خناقها ، فتدفعه عنها بقوة ، ثم تتجه سريعا الى المكتب فتتناول مسدسا كان مختفيا تحت بعض الصحف وتشهره عليه ، بينما يحاول اللحاق بها)

راشيل : قف مكانك ولا تتقدم خطوة ، والا أطلقت النار (زياد يتراجع . تقترب منه مصوبة اليه المسدس ، ثم تتناول القيد وتغل به يديه من جديد) أنت طفل قذر ، بل حيوان ساذج ! (تضحك) لعلك بدأت منذ الآن تحلم بالزيارة الليلية الموعودة ! (تصفعه)

زياد (يبصق عليها) : أيتها القحبة ! كلكن قحاب ! ظننت انني استسلمت لك أيتها الكلبة النتنة ! نعرفكم .. الجميع يعرفونكم ، حتى

منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجقدار

في الامم المتحدة ، ومع مندوبي الدول المحترمين ! وتعتقدون انكم تستطيعون أن تسلبونا شرفنا ببذل أعراضكم ، كما سلبتمونا أرضنا .. يا حثالة البشرية أنتم !

راشيل (تقترب منه محاولة أن تضع المسدس على صدغه) : كلمة واحدة أخرى ، ويطير نخاعك ! (يفتح الباب فجأة ، ويدخل الضابط الاسرائيلي ومعه جندي . تتراجع راشيل) أخفقت مهمتي معه .. استعملوا الطريقة الاخرى (تومىء للجندي أن يقتاده ، تغلق الباب خلفهما)

المشهد الرابع

الضابط الاسرائيلي ، راشيل

(ترتمي راشيل على عنق الضابط الاسرائيلي ، فيغرقان في قبلة)

راشيل (بعد أن تعانق الضابط ثانية) : كنت ذات لحظة ، وأنا مع الصغير ، بأشد الحاجة اليك ! أصبت بالرعب حين هجم علي كالوحش محاولا خنقي !

الضابط : ولكنه كان مقيدا !

راشيل : فككت قيده لاكتسب ثقته ...

الضابط : أوه .. ان هؤلاء ، حين يمنحون الحرية ، يستطيعون اجتراح العجائب !

راشيل : عجيب أمره ، ذلك الصغير ! لقد أثار أعصابي حقا !

الضابط (يعود الى تقبيلها) : تعالي .. انسيه .. دعينا منه ، دعينا منهم جميعا !

راشيل : انني أشعر بحقد شديد عليه ! لم أكن أتصور أن أخفق معه هذا الاخفاق !

الضابط (يعانقها مجددا) : قلت لك ان علينا أن ننساهم .. يجب أن ننساهم ! انني أكاد أنفجر غيظا من أخبارهم هذا اليوم !

راشيل : كيف لنا أن نتجاهل هذه الاخبار ؟ ان قنابلهم تنفجر بيننا ، خلف بيوتنا ، تحت سياراتنا ، في معسكراتنا .. وان أشباحهم تملأ أحلامنا كوابيس ! ألست ترى مواطنينا يأوون الى بيوتهم باكرا في المساء ، فتخلو الشوارع والمقاهي وعلب الليل ، حتى لتبدو المدن والقرى كأنها مهجورة ؟ (صمت) لقد روت لي جارتي « لولو » انها كثيرا ما تستيقظ في الليل مذعورة ، وهي تحس بيدين تطبقان على عنقها تريدان خنقها ..

الضابط : ان هذه أحلام ليس الا ...

راشيل : لكنها تتكون في رؤوس من ينامون خائفين (فترة) ألا ترى ان هذا الخوف يتفاقم كل ليلة بين أهلنا ومواطنينا حتى لا يكاد أحدنا يهنأ بجلسة سعيدة ، أو يتمتع بساعة هادئة ؟ وتلك الفرحة التي كانت تتفجر بها عيوننا بعد حرب الايام الستة ، ألا تراها قد امّحت الآن من هذه العيون ؟

الضابط : كفى يا راشيل ، كفى ... انني بحاجة الى اجازة ، فترة راحة ولو لساعة .. يا الهي ... أليس من وسيلة ناجعة للنسيان ؟

راشيل : أنت على حق يا عزيزي . وأنا بحاجة الى لحظة راحة ، فترة غيبوبة .. (بلهجة رقيقة) تعال يا ضابطي . تعال الى صدري ، وانس همومك هنا (تشد رأسه على نهديها)

الضابط (متمتما) : هل أراك هذه الليلة ؟

راشيل : لا بد من ذلك ، ما دمت لن أرى الصغير !

الضابط : لا تهتمي كثيرا بأمره . انهم هناك ، في الغرفة السوداء ، يهتمون به الاهتمام الكافي !

راشيل : أخشى ألا يحصلوا منه على فائدة كبيرة (بلهجة متعبة) أتساءل أحيانا : أما كان خيرا لنا أن نبقى حيث كنا ؟

الضابط : أي كلام هذا ؟ انها أرضنا يا راشيل ، هذا قدرنا التاريخي !

راشيل : أصارحك يا عزيزي انني كنت في « بون » أشد اطمئنانا وراحة مما أنا هنا ...

الضابط : لا ، راشيل ! لا بد أن تعتادي الحياة هنا بعد فترة من الزمن . قليلا من الصبر ، راشيل ..

راشيل : انني صابرة يا عزيزي . ولكنني أحس أحيانا بأنني غير مجدية ..

الضابط : لماذا ؟ وكيف ذلك ؟

راشيل : مثلا : مع ذلك الصغير !

الضابط : أوه ... ذلك الصغير ! انه يستولي على اهتمامك أكثر مما ينبغي !

راشيل : انه نقي .. وهذا ما يعجبني فيه !

الضابط : يغريك فيه ما يغري الرجل بالمرأة العذراء !

راشيل (ضاحكة) : ليست هذه فكرة رديئة !

الضابط (مقبّلا اياها من أذنها) : أعدك بأن أعوض عليك هذه الليلة ! (ينظر الى ساعته) انها الآن السادسة الا ربعا .. وأنا أستعجل الساعة الثامنة .. انتظريني (يطرق الباب) أدخل . (جندي يدخل مؤديا التحية)

المشهد الخامس

الضابط الاسرائيلي ، راشيل ، جندي اسرائيلي ، الجاسوس أحمد

الجندي : سيدي الضابط . صديقنا العربي يود مقابلتك .

الضابط : أوه .. صديقنا العربي . منذ مدة لم نره . ليدخل . (يخرج الجندي)

الجاسوس (يدخل) : شالوم ، سيدي الضابط !

الضابط : شالوم . أين أنت يا أخا العرب ؟

الجاسوس : في خدمتكم ، سيدي الضابط .

الضابط (ملتفتا الى راشيل) : هل تعرف الآنسة راشيل ؟

الجاسوس : حصل لنا الشرف (يمد يده مصافحا اياها)

الضابط : راشيل . صديقنا أحمد من أخلص أعواننا . وهو نموذج للعاقل الحكيم الذي يرى ألا جدوى من تحدينا وقد بلغنا هذا المبلغ من القوة .

الجاسوس : بالطبع . انني أنشد السلام لوطننا والاستقرار لمواطنينا .

الضابط : لكننا نرى جماعتك يضاعفون نشاطهم التخريبي في هذه الايام ... كأنهم مصممون نهائيا على تفجير الارض التي فقدوها !

الجاسوس : وعليكم أنتم أن تضاعفوا نشاطكم المضاد ، وان تزيدوا عدد دورياتكم . (صمت) انكم تملكون من وسائل القوة وأساليب الارهاب ما يجعل كل نشاط لهم في حكم العبث !

الضابط : على ان خطرهم يتفاقم حولنا ، حتى في المناطق القريبة !

الجاسوس : لا تقلق يا سيدي الضابط . أن هذه المناطق من اختصاصي ، وأنا أراقبها مراقبة دقيقة . ولاي سبب تعتقد انني أطلب اليوم مقابلتك ؟

الضابط : ما وراءك من اخبار ؟

الجاسوس : أنا قادم توا من المنطقة التي داهمت دوريتكم فيها هذا الصباح منزل تلك الاسرة ، فقبضت على أحد أبنائها . (صمت) ولكن دوريتكم قد خدعت مع الاسف ، فأسرت شخصا لا فائدة منه ، وتركت الباقين الخطرين ..

الضابط : وأين كان الباقون ؟

الجاسوس : داخل المنزل بالذات . كانوا خمسة ... وهم الذين

قاموا في الاسبوع الماضي بكثير من عمليات التخريب التي جرت في منطقتنا .

الضابط : عجبا ! أين هم الآن ؟

الجاسوس : هذا هو السؤال الذي كنت أنتظره منك ، سيدي الضابط . أبلغت مساعديك منذ حين عما حدث معي : طاردني ثلاثة من المخربين وتبادلنا اطلاق النار ولكني تمكنت من الفرار . ولا شك انهم يغادرون المنطقة الآن . وقبل أن أدخل عليكم ، علمت ان دورية قد أرسلت على جناح السرعة لتعقبهم ...

الضابط : حسنا ، حسنا (يفتح درجا في مكتبه ويخرج منه مغلفا يقدمه للجاسوس) استعن بهذا على أمورك . هذا على الحساب. وأنا شاكر لك هذه الخدمة الثمينة ، ومعتز بتعاونك وصداقتك .. لو كان لنا أصدقاء كثيرون مثلك ... اذن ...

الجاسوس (يدس المغلف في جيبه) : أؤكد لك ، سيدي الضابط ، انهم سيتكاثرون مع الايام اذا عرفتم كيف تصمدون لروح التخريب التي تحركهم ، واذا سجلتم عليهم عددا من الانتصارات الحاسمة .

الضابط : هذا متوقف الى حد كبير على مقدار تعاونكم واخلاصكم ...

الجاسوس : وهل شككتم ساعة باخلاصنا ، سيدي الضابط ؟

الضابط : حين يراودنا أدنى شك ... فأنتم تعرفون النتيجة (يمر يده ضاحكا على عنقه كأنما يحزها بسكين)

الجاسوس : طبعا .. طبعا . ستثبت لكم الايام ، أكثر مما أثبتت ، مقدار اخلاصنا ..

الضابط : ستمرون مقدار سخائنا وكرمنا .. (يضحك) سنجرب أن نقلدكم أنتم العرب ، هذه المرة ، في الكرم .. وسنحاول أن ننسى اننا يهود (يضحك مجددا)

الجاسوس : ولكن يبدو انكم لم تنجحوا بعد في هذه المحاولة ! (يضحك بدوره)

الضابط (ضاحكا) : ان الايام بيننا يا أخا العرب (لحظة) واذا قصّرنا في هذا الميدان ، فلا بد أن نعوض عليكم ... في ميدان آخر ! (يلتفت الى راشيل التي تضحك) تستطيع على أي حال ، أيها الصديق ، أن تنتظرني هنا الآن ، لان علي أن أخرج لاتابع عملية المطاردة بالهليكوبتر . وأعتقد انك لن تصاب بالملل ما دامت راشيل معك ! (يضحكون جميعا)

(يخرج الضابط)

المشهد السادس

راشيل ، الجاسوس أحمد

راشيل : هل تعرف الفتى الذي قبضوا عليه اليوم ، في ذلك المنزل ؟

الجاسوس : تقصدين زياد ؟ شخصيا لا . لكنني أعرف انكم لم تحصلوا على غنيمة حين قبضتم عليه ..

راشيل : هذا لا ينفي انه صلب المراس ، متين الاعصاب .

الجاسوس : هل قابلته ؟

راشيل : مقابلة طويلة .

الجاسوس : وظل صلب المراس ، متين الاعصاب ؟

راشيل (باسمة) : نعم ، مع الاسف !

الجاسوس : عجبا ! لكن هذا ان دل على شيء ، فعلى ان صاحبنا لم يبلغ بعد مبلغ الرجال !

راشيل (متظاهرة بأنها لم تفهم) : ماذا تقصد ؟

الجاسوس : من يجتمع بك لحظة من الرجال ، لا يستطيع أن ينسى لحظة انه رجل ! الا أن يكون صغيرا ... أو عاجزا ! (يضحك ثم يقترب منها بهدوء) وأنا ، والحمد لله ، لست واحدا منهما (يضع يده على كتفها)

راشيل : من الممكن ألا يكون بالضرورة صغيرا أو عاجزا !

الجاسوس : وماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟

راشيل : من الصامدين !

الجاسوس : أما أنا ، فلن أكون منهم ، أمام مخلوقة مثلك على الاقل ! (يضحك وينحني ليقبلها في عنقها)

راشيل (تحاول الابتعاد عنه برفق) : انني على أي حال أفضل ذلك النوع من الرجال !

الجاسوس : هذه طبيعة المرأة اجمالا : تحرص على اخضاع الذين يقاومونها .

راشيل : لكنني أعترف انني أخفقت مع ذلك الفتى .

الجاسوس : اذا كنت حريصة حقا على أن تنجحي معه ، فان بامكاني أن أساعدك ...

راشيل : وكيف ذلك ؟

الجاسوس : ان لي أسلوبي الخاص (فترة) ولكن ما هو المقابل ؟

راشيل : ما تشاء .

الجاسوس : بلا تحفظ ؟

راشيل (باسمة) : بلا تحفظ !

الجاسوس (ينحني فيقبل عنقها) : حسنا .. اسمعي يا .. راشيل ...

(يفتح الباب فجأة ، فيبدو الضابط على عتبته)

المشهد السابع

الضابط الاسرائيلي ، راشيل ، الجاسوس أحمد ، فدائي

الضابط : لعلكما تستغربان عودتي السريعة !

راشيل : ما الذي حدث ؟

الضابط : انتهت المعركة .

الجاسوس : بهذه السرعة ؟

الضابط : يبدو ان ارشاداتك أيها الصديق كانت ذات اثر فعال في مجرى الامور ! (صمت) صحيح ان المخربين استطاعوا الفرار ، لكن أحدهم سقط بين أيدينا بعد معركة لم تكن هينة . وهو مصاب بجراح خطيرة .

الجاسوس : من تراه يكون ؟

الضابط : انه يلتزم الصمت ، ويمتنع حتى عن ذكر اسمه ! (لحظة) والواقع انه ، كما روي لي ، قاوم مقاومة عجيبة ، وتمكن من اصابة جنديين من جنودنا اصابة مباشرة قبل أن نأسره . طوقه خمسة عشر من رجالنا ، عند طرف الغابة القائمة عند أسفل الرابية . وبالرغم من انه أصيب برصاص أحد جنودنا ، ظل يطلق على جماعتنا نار رشاشه حتى خارت قواه ، فتهاوى فوق رشاشه . وحين تقدم منه الجنود ، فوجئوا بأنه انتفض بسرعة وتناول رشاشه ثانية وأطلق ما بقي فيه من رصاص ، فأصاب الجنديين .

راشيل : كأنه كان مصمما على الموت بأي ثمن !

الضابط : أوشك أحد الجنود على قتله ، لكن القائد منعه ، قائلا ان من الاجدى لنا أن نأسره ، وأن نستجوبه .

الجاسوس : لعلني أعرفه اذا رأيته !

الضابط : هذا ما فكرنا فيه . ولذلك فهم يحملونه الينا الآن .

الجاسوس : الواقع انني أعرف من هذه المجموعة وجه رئيسها فقط ، ويسمى نزيه ، وهو أخو الصغير زياد .

(يطرق الباب)

الضابط : أدخل . وصلوا .

(يدخل جنديان حاملين جسما . يقترب الجاسوس فينظر في وجهه)

الجاسوس (ملتفتا للضابط) : ليس هو نزيه . لا أعرفه .

راشيل (تقترب بدورها وتنظر) : ليس في وجهه ملامح من وجه الصغير .

الضابط : حسنا . هذا ما سيسهل علينا معرفة هويته (لاحد الجنديين) اننا محتاجون الى الاسير الصغير . فليأت الى هنا . ليأخذ رفاقنا الذين يداعبونه فترة راحة (يضحك . يخرج الجندي مؤديا التحية العسكرية)

الجاسوس : انه ينزف دما ... وسيلطخ أرض المكتب !

راشيل : ليس أسهل من ازالة آثار الدم !

الضابط (ساخرا) : هي على أي حال أسهل من ازالة ما يسمونه « آثار العدوان » ! (يضحك . يفتح الجريح عينيه وينظر الى الجاسوس) هل تعرفه أنت ؟ (مشيرا الى الجاسوس) هو لا يعرفك . هل رأيته قبل الآن ؟ (الجريح لا يجيب) لماذا لا تكونون مسالمين مثله ؟ ما يجديكم هذا العناد ؟ أجب : ألا تعرفه ؟

الجريح (بصوت واهن) : أشعر بالخجل ، نيابة عنه !

الجاسوس (منتفضا) : ماذا تقول ؟

الجريح : أقول يؤسفني انك لا تشعر بالعار !

راشيل (متدخلة) : وأنتم ، ألا ترون انكم ترتكبون الحماقات ؟

الجريح (بصوت ضعيف) : لا يضير من فقد أرضه أن يفقد عقله (لحظة) سيسترده حين يستردها ! (يتأوه متألما)

الضابط : فقدتم الاثنين معا !

الجريح (يتأوه من جديد) : لا أستطيع أن أتكلم . ولو كنت أستطيع لما تكلمت . تكلمنا كثيرا . وآن لنا أن نصمت !

الضابط : ولكني أطمئنك ان لدينا ... وسائل كثيرة تنطق حتى الصخور !

(يطرق الباب ، ثم يدخل زياد مقيد اليدين ، وآثار الضرب والتعذيب بادية على وجهه وذراعيه وعنقه . جندي يدخل خلفه مصوبا فوهة بندقيته الى ظهره)

المشهد الثامن

الضابط الاسرائيلي ، راشيل ، الجاسوس ، الجريح ، زياد ، جنديان

زياد (يقع نظره أولا على الجريح الممدد أرضا . يقترب منه ، وفجأة يصيح) : هشام ! هشام ! ما الذي جاء بك الى هنا ؟ (ينحني عليه)

الضابط (مقتربا من زياد ، رافعا اياه من كتفه) : انهض ، ولا تأت بحركة ! (ينهض زياد في تلكؤ وعلى وجهه ذعر وألم) من هو هشام هذا ؟

زياد (غير مجيب عليه) : لماذا فعلت ذلك يا هشام ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

الضابط (يغمز الجاسوس وراشيل) : الابله ! يظن انه قد سلم نفسه طوعا ! (لزياد) من هو هشام هذا ؟ تكلم !

زياد (بجفاء) : ابن عمي ! (لهشام) : ماذا حدث ، هشام ؟

هشام (بصوت ضعيف) : قلقت عليك ، زياد ، فانفصلت دقائق عن المجموعة . ولكنهم كانوا يطاردوننا .. هناك من وشى بنا ..

زياد (مصوبا بصره الى الجاسوس ، ثم مشيرا اليه باصبعه ، رافعا يديه بالقيد) : انت ؟ (يغض الجاسوس بصره) انت ؟ أجب أيها النذل الجبان !

الضابط (مقتربا من زياد ، صافعا اياه) اخرس !

زياد : كلب !

الضابط (يصفعه عدة صفعات على وجنتيه) : لا بد من قطع لسانك هذا القذر !

زياد (متنبها الى الدم الذي ينزف من هشام) : ولكن دمه ينزف ! الا ترون ان دمه ينزف ؟ لماذا لا تضمدونه ، ايها القتلة المجرمون ؟ (الجندي يلصق فوهة بندقيته بظهره ، فيهدأ) دعوني فقط أضمد جراحه ! فكوا القيد عن يدي دقائق فقط) !

هشام (بلهجة واهنة) انا بحاجة الى نقطة ماء ، زياد !

زياد (منتفضا من جديد) أسقوه . اعطوه ماء (لا يجيب احد . يلتفت الى الجاسوس) انت ! ألا تسمع نداءه ؟ الا ترى دمه ؟ (يبدو الاضطراب على الجاسوس ، ويلتفت يمنة ويسرة ثم يتجه الى نافذة فيتناول عنها ابريق ماء ويعود يقدمه الى هشام ، ولكن هشاما ينظر اليه لحظة ثم يشيح بوجهه عنه ، رافضا ان يشرب . يظل الجاسوس لحظات واقفا ثم تأخذ جسمه رعشة مفاجئة ، فيسقط الابريق من يده ويتحطم شظايا ، ويسيل ماؤه ممتزجا بدم هشام) بالله عليكم ، ايتوه بكوب ماء . انه يرفض ان يسقيه الخائن ! (يلاحظ ان هشاما أغمض عينيه وفقد حركته) لقد فقد وعيه ايها السفاحون المتوحشون ! خذوه الى المستشفى قبل ان يفوت الاوان ! (تهدأ لهجته فجأة) أرجوكم .. اجلبوا له طبيبا .. سيموت من النزيف .. أبتهل اليكم ! عذبوني ما شئتم ، ولكن خذوه الى طبيب (ينفجر باكيا) .

الضابط (بحركة نفاد صبر) : اوه ! لا أطيق بكاء الاطفال ! لا أطيق ابدا بكاء الاطفال ! (للجنديين وراشيل) خذوهما .. وتدبروا أمرهما .. أعيدوا الصغير الى حيث كان . وحين يسترد هذا (يشير الى هشام) حواسه ، أعيدوه الى هنا ليحدثنا عن امجاده وامجاد رفاقه ! (يتجهون الى الباب) .

راشيل (للجاسوس) : الا تأتي معي ، لنتابع ما كنا فيه ؟ (تغمزه ، فيتبعهم كأنه منوم مغنطيسيا ، ويخرجون جميعا) .

الضابط (يغلق الباب خلفهم ويعود فيجلس على الاريكة ، ويتنفس نفسا طويلا) اوف ! ما اطول هذا اليوم ! (يلفت نظره الدم على ارض المكتب) وما أدماه ! (يغمض عينيه . تمر لحظات توحي بأنه قد مر وقت طويل . يطرق الباب ، فلا يجيب ، كأنما هو نائم . يطرق ثانية فيتحرك ببطء ، بهدوء) دعوني لحظة . اتركوا لي اليوم دقيقة راحة . انا لست من حجر ! (صمت ، يطرق الباب ثالثة . بتذمر) : اف . أدخل .

جندي (يفتح الباب) : سيدي الضابط . ان هناك فتاة تطلب مقابلتك .

الضابط (ينهض من الاريكة) : فتاة ؟ ومن هي ؟

الجندي : ترفض ان تدلي باسمها . ولكنها تقول انك تعرفها !

الضابط : فتاة أعرفها ؟ حسنا ! فلتتغير الوجوه قليلا في هذا اليوم الفظيع . (للجندي) دعها تدخل !

(تدخل ليلى بوجه شاحب ، يخرج الجندي)

المشهد التاسع

الضابط الاسرائيلي ، ليلى

الضابط (واقفا في مكانه ، قرب الاريكة) ... آنسة ليلى ! أهلا وسهلا . (لا تجيب) انني ارحب بك . (تبقى على صمتها فيما هي تنظر اليه نظرة صارمة) كنت أتوقع ان تأتي . ولم يخب ظني .. في ذكائك ! (يتقدم خطوة) عفوا ! تفضلي فاجلسي (يشير الى كرسي) .

ليلى (بلهجة شبه غائبة ولكنها واثقة) : ان امه .. أمي ... في حالة عياء شديد .. انها ملازمة الفراش منذ أخذتموه . وقد جئت أطلب منكم ان .. ترحموها (تضعف لهجتها) أن تردوه لها. أرجوكم.. (تغض نظرها)

الضابط (يجلس) تفضلي واستريحي أولا يا آنسة (تتقدم ببطء ، كأنما عن غير وعي ، فتجلس على الكرسي الذي اشار اليه) انك متعبة . ولكن هذا الشحوب يزيدك .. جمالا . (لحظة) تقولين

ان أمك في حالة .. (لا يتم) هذا صحيح .. لاحظت ذلك حين زارتني منذ يومين ..

ليلى : ارجوك .. لا تردد أنها زارتك .. اننا لم نتنبه لذلك . اغتنمت فرصة غيابي عن البيت ..

الضابط : لا بأس ، لا بأس . لن نتحدث عن زيارتها .. فلنتحدث عن زيارتك انت يا آنسة .. ليلى !

ليلى (بلهجة جافة) : هذه الزيارة ، لا غاية لها الا ان تطلقوا سراح زياد . (صمت) لقد تحققتم بلا شك انه لا علاقة له .. بما تسمونه أعمال تخريب !

الضابط (ببطء) : لم نتحقق بعد من شيء .. وأمامنا متسع من الوقت .. ولسنا على عجلة من أمرنا !

ليلى (بانتفاضة) : لكن أمه لا تستطيع ان تصبر بعد ! أرجوك (تضعف لهجتها وتضع وجهها بين يديها) بل أبتهل اليك .. اكراما لتلك العجوز المريضة .. انها تتعذب ...

الضابط : وهو أيضا !

ليلى (منتفضة من جديد) ماذا ؟ هل .. تعذبونه ؟

الضابط : لا .. عفوا .. أقصد انهم ، هناك ، يحاورونه مجرد محاورة ...

ليلى (متنبهة فجأة الى الدم على الارض) : ما هذا ؟ يا الهي.. انه دم .. (لحظة) أيكون هذا من .. دمه ؟

الضابط : لا .. اطمئني .. لم يبلغ الامر هذا المبلغ بعد ... غير ان هذا دم ... رفيق له ...

ليلى (مقاطعة بذعر) : رفيق لزياد ؟

الضابط : نعم . رفيق له .. قبضنا عليه منذ حين .

ليلى (مرتجفة) : من قال انه رفيق له ؟ .. ومن يكون ؟

الضابط : كنا نتمنى ان يكون .. أخاه الاكبر . ولكن اطمئني ايضا .. فليس هو .. أخاه ! (لحظة . ليلى تظل متلهفة ، ولكنها لا تسأل) انه يدعى .. ماذا يدعى ؟ أظن انه يدعى .. هاشم .

ليلى (بصرخة) : تقصد .. هشام ؟

الضابط : نعم ، نعم .. هشام .

ليلى (تنهار على مقعدها) : جاء هو أيضا ؟ سبقني لمحاولة انقاذ زياد ؟ وقد أهرق دمه .. من أجله ؟ هذا اذن دمه ؟ (تنظر ثانية الى الارض ، ثم تجهش بالبكاء ، وما تلبث ان تسقط فاقدة وعيها)

الضابط (مرتبكا) : ماذا ؟ فقدت وعيها هي ايضا ؟ يا الهي .. ما هذا النهار ؟ (يهم بان يدق الجرس ليستدعي جنديا ، ولكنه يعدل سريعا . ينظر اليها وقد انكشف ثوبها عن ساقها) هذا أفضل ! هذا أفضل ! خاتمة حلوة لنهار متعب ! (ينحني فوقها فيحملها بين ذراعيه ويقبلها من عنقها ، ثم يضعها على الاريكة وهو يحدق في ساقيها بعينين جشعتين)

ـ ستار ـ

الفصل الثالث

قاعدة للفدائيين : مغارة واسعة في سفح جبل . فراش ممدود الى اليمين . بعض صناديق في الزوايا . طاولة صغيرة . بعض البنادق معلقة ، وبعض الرشاشات. المغارة مظلمة بعض الشيء . آلة تسجيل على البطاريات مدارة على اسطوانة « سنرجع يوما الى حينا » لفيروز . حين يتحدث الاشخاص يضعف صوت الاسطوانة ، ويرتفع حين يصمتون .

المشهد الاول

فتحي ، الياس ، سعيد

(فتحي وسعيد جالسين داخل المغارة . يبدو الياس على الباب فجأة)

فتحي (واقفا) : عدت أخيرا ؟

سعيد (واقفا بدوره) : اين كنت ؟ نمنا ثلاثة ، فأصبحنا اثنين !

الياس (يجلس) : أرقت كثيرا . لم استطع النوم .

فتحي : فخرجت تغازل النجوم !

سعيد : هل هناك امكانية لاي غزل وانت تشخر في نومك كوابور الكاز ؟

فتحي (ضاحكا) : انا اشخر ؟ لا احس بهذا !

سعيد : المزعجات لا يحس بها اصحابها . هي مخلوقة للاخرين ! (لالياس) حقا ... اين كنت ؟

الياس : سرت قليلا في الظلام ، من غير هدف . ثم تنبهت الى أصوات صراصير الليل ، فأخذت اصغي اليها . واختلطت هذه الاصوات ، بعد قليل ، بنقيق الضفادع . وأحسست بأن قدمي تقودانني . وحين لاحظت انني مشيت طويلا ، نظرت حولي ، فشعرت بأن هذا مكان تعرفه قدماي . وحدقت في الظلام : أليس حقلنا خلف هذه التلة ؟ وانبطحت على بطني ، وبدأت أزحف فوق التلة . كنت أحس الرعشة في جسمي وانا الامس التراب وأشم رائحة الصعتر والوزال . ودخلت شوكة في راحتي وانا أزحف ، فتوقفت ريثما أنزعها . ونفرت قطرة دم صغيرة مكانها . فتمصصتها . قلت لنفسي : لن استطيع ان امضي بعيدا في زحفي . لم يكن معي سلاح . وقلت لنفسي : سأصل حتى الساقية فقط . ونهضت حين بلغت الساقية ، ونظرت الى البيت ، فرأيت نوافذه كلها مغلقة . وقلت لنفسي انني سأعود يوما ، فيالنهار ، لافتحها على مصاريعها وأشرعها للنور والهواء. ثم انحنيت فمددت يدي الى الساقية . كان فيها بعض الماء. وغسلت يدي ووجهي ، ثم عدت الى التلة زاحفا . (صمت) لم اكن اتوقع ان تستغرق الرحلة ساعات الليل كلها .

(صمت . سعيد يروح ويجيء داخل المغارة ، بينما فيروز تغني)

سعيد (لالياس) الا تريد ان تنام قليلا ؟ هل نوقف الاغنية ؟

الياس : لا لا أحس بالنعاس ، بل سأخرج لجمع بعض الحطب ! انني جائع (يخرج)

(يعود سعيد الى ذرع المغارة جيئة وذهابا)

فتحي : متى تراك ستهدأ ؟ أوشك أن أصاب من حركتك بالدوار !

(يتوقف سعيد لحظات وهو يحدق في فتحي ، ثم يستأنف حركته من غير ان يجيب) بم تفكر يا عزيزي ؟ (بلهجة ساخرة) اية مشكلة فلسفية عويصة تستغرقك ؟

سعيد : الا ترى ان نزيه تأخر اكثر مما ينبغي ؟

فتحي : هذه هي المشكلة العميقة التي تشغل ذهنك ؟ حسبتك تفكر في فتاة تحبها ، في امرأة جميلة .. ناضجة .. كانت لك معها مغامرات !

سعيد (ضاحكا) : هذا هو « الاسقاط » بعينه ، كما يحدده علماء النفس . تحس انت بشيء ، فتنسبه الى سواك !

فتحي (بتأمل) : انت على حق يا سعيد ! اشتقت الى المرأة . (صمت) انقضت اربعون يوما لم ...

سعيد (مقاطعا) : فهمت .. فهمت .. لا حاجة بك الى استعمال الكلمة اللطيفة !

فتحي : قل لي بالله عليك .. حين تحس انت حاجة اليها.. فماذا تعمل ؟

سعيد : تقصد في الماضي ، ام الان ؟

فتحي : في الماضي والآن معا .

سعيد : اما في الماضي ، أي في بيروت ، فقد كنت أخرج ليلا الى أي ملهى او مرقص .. وما أكثرهن هناك ! على شرط واحد : ان تكون أجنبية !

فتحي : أجنبية ؟ ولماذا أجنبية فقط ؟ ابدافع قومي ؟ حتى هنا تدخل « الكرامة » القومية ؟

سعيد : لا أدري . قد يكون ذلك ، وقد يكون هناك سبب اخر !

فتحي : الا اذا كنت تقصد ان الاجنبيات اكثر ... خبرة !

سعيد (يضحك) وأما هنا ، فيكفي ان أستعيد صور اطفال الروضة ، عند ذلك ، تعود الامور الى طبيعتها !

فتحي : وأما انا فلا يعيد الامور الى طبيعتها عندي الا الامر الطبيعي ! (يضحك) ولذلك ، لا بد لنا ، بعد ان نقوم بالعملية التي قررناها الليلة ، من ان اطلب اذنا ليوم واحد ! (لحظة) ولا أشك في انها مشتاقة الي !

سعيد : من هي .. هذه التعيسة ؟

فتحي (ضاحكا) : كانت تعيسة قبل ان تتعرف بي .. انها امرأة مطلقة عرفتها منذ اكثر من عام . ولكنها تطمع في ان اتزوجها .

سعيد : وهل تنوي الزواج بها ؟

فتحي : لا انوي الزواج اصلا في هذه الفترة . ان هذا شيء مستدرك . وما دمنا الان هنا ، فان ثمة ما يشغلنا عن التفكير بالزواج . (فترة) وانت يا سعيد ، الا تفكر بالزواج ؟

سعيد : بلى ، حين اعود الى لبنان . وسأبحث عن رفيقة حياة تحب الاولاد .

فتحي : وتنجب لك منهم عددا يكفي لملء صف من صفوف روضتك!

سعيد (باسما) : ثق يا فتحي اننا سنكون بحاجة الى الاكثار من الاولاد اذا كنا مصممين حقا على تحرير أرضنا (صمت) ألا ترى ان وفرة العنصر البشري هي التي تجعل من المستحيل على اعدائنا ان يهزمونا هزيمة نهائية ؟

فتحي : ولكن هذه الوفرة ، من جهة اخرى ، تسبب لنا مشكلة اقتصادية نعانيها في معظم أقطارنا .

سعيد : هذه ليست بالمشكلة المستعصية على الحل يكفي ان نحسن استغلال مواردنا من جهة ، وان نحسن توزيعها من جهة اخرى.

فتحي : هذا يقتضينا ان نؤمن ايمانا صادقا بوحدة المصير ...

سعيد : هذا الايمان كامن في ضمير كل انسان عربي ، ولن تستطيع أية حواجز مصطنعة ان تقضي عليه او تضعفه . من هنا كان العمل الذي نقوم به من اجل أمتنا كلها ، لا من اجل هذا الجزء من الشعب وحده . (ينظر في ساعته) الا يقلقك حقا تأخر نزيه الى هذا الحد ؟

فتحي : ليس منزله ، اولا ، على رمية حجر . وهو قد اخبرنا ، ثانيا ، انه قد يتأخر ، بسبب شوقه الى أمه . ومن يدري ، فلعلها متشبثة به ، تريد ان تستبقيه وقتا أطول ، تعويضا عن غياب زياد .

سعيد : مسكينة حقا هذه الام ! لا بد انها تحتمل اكثر مما يطيق الانسان . (صمت) لقد كانت أمي تتجنب لقائي يوم مغادرتي القرية ، وقالت انها تفضل الا تودعني . (فترة) وانت يا فتحي ؟ انني لم اسألك عن أمك ؟..

فتحي : حدثتها غير مرة عن رغبتي في الالتحاق بالفدائيين . وكانت في كل مرة تهز رأسها ، وكأنها تقول لي : اذهب ، فذلك افضل مطهر لك . وحين ماتت ، قبل ايام من انضمامي اليكم ، اعتبرت موتها اذنا لي بالمجيء .

سعيد : وهل تفكر ، انت ، بالموت كثيرا ؟

فتحي : افكر فيه أحيانا ، ولكنني لا أحبه . انني لا أريد أن أموت . انني احب الحياة ، واريد ان اتمتع بها حتى اخر رمق .

سعيد : ولكنك قد تواجه الموت ، ذات لحظة ، وانت في معركة قاسية مع العدو ..

فتحي : في هذه الحالة ، سأدافع عن حياتي بكل ما أملك من قوة الحياة . انني في الاصل اريد ان ابقى ، ان استمر . ان الحياة جديرة بأن تعاش . ان تتنفس الهواء بملء رئتيك ، او ان تستقبل أشعة الشمس بصدرك ، او ان تجالس امرأة جميلة ... هذا وحده يكفي . وانا أتمنى لو كان في قدرة الانسان أن يبدأ كل يوم حياة جديدة . ان هذا وحده يكفل له ان يصلح اخطاءه ، ويبدأ من جديد . اما اذا كان لا بد لي ، بعد ذلك ، من ان اموت ، فانني سأنفجر غيظا !

سعيد (ينفجر ضاحكا) : طريفة هذه الفكرة يا فتحي : ان ينفجر الانسان غيظا اذا مات ! (بلهجة جادة) ولكن الموت حين يدرك واحدا منا ، وهو في هذا الوضع ، يفقد معناه العادي . انه ليس بالفناء ولا بالزوال . بل هو توكيد لمعنى الحياة وارادة الوجود . انه يموت ليتيح لغيره الحياة .

فتحي : لكنه غير واثق دائما من انه سيمنح غيره الحياة حين يموت .

سعيد : أنت على حق . لان الموت ايضا مجازفة ، كالحياة سواء بسواء . وانا شخصيا اريد ان ارجيء هذه المجازفة الى اخر موعد ممكن (صمت) أريد ان اعود الى روضة الاطفال . ان لي فيها ابن اخت لا يتجاوز السادسة . كان يسعدني ان اجلسه طويلا على ركبتي ، وأن أسمعه يزقزق كالعصفور ، وأن أحدق في عينيه . ان له نظرة شفافة صافية أحس كأنها تمطر ثلجا ناصعا على قلبي . نظرة لا كدر فيها .

فتحي : هل تفكر فيه هنا ، أحيانا ؟

سعيد : كثيرا ما أفكر فيه (صمت) ولعل خوفي من ان يفقد ابن اختي صفاء نظرته ذات يوم ، خوفي من أن يكدر المستقبل شفافية عينيه ، خوفي من ان ينضم هو ايضا الى قافلة جديدة من النازحين ، تنطلق هذه المرة من لبنان ، الى حيث لا ادري .. هو الذي حملني على ان أنخرط في عمل أسرع فاعلية من التربية والتعليم ..

فتحي (مرهفا اذنه) : الا تسمع وقع أقدام يا سعيد ؟ (يتناولان رشاشيهما وينهضان ناظرين في اتجاه الصوت . لحظة) انه نزيه .. وخلفه الياس .

سعيد : ولكن اية سحنة هي سحنته ؟

(يدخل نزيه وعليه علائم القنوط ، يتبعه الياس)

المشهد الثاني

نزيه ، الياس ، فتحي ، سعيد

فتحي : ماذا يا نزيه ؟ اية غمامة أسى على جبينك ؟ هل أصيب أحد بسوء ؟ ألديك أنباء عن زياد ، أو عن هشام ؟

نزيه : لا . (لحظة صمت) ولكن منزلنا ..

سعيد : منزلكم .. ما شأنه ؟

نزيه (بهدوء) : نسفوه صباح اليوم !

فتحي وسعيد (معا) : نسفوه ؟ متى ، كيف ، لماذا ؟

(نزيه لا يجيب)

الياس : يا الهي ! اي اجرام هذا ، وأية بربرية !

سعيد (بلهفة) : وأمك يا نزيه ؟ وأختك ؟

نزيه : لم تكن ليلى في المنزل . اما أم نزيه .. (يخفض رأسه فيما يبدأ جسمه بالارتعاش من جراء النحيب)

سعيد : قل بالله عليك .. هل أصيبت أمك بأذى ؟

نزيه (يهدىء نفسه) : ظلت ساعة بكاملها ترفض ان تخلي المنزل ، وتصر على ان تبقى فيه ، حتى ولو نسفوها معه ..

فتحي : وبعد ذلك ؟

نزيه : روى لي الجيران ان المجرمين حملوها قسرا والقوها بعيدا عنه فيما هي تصب عليهم شتائمها .. (لحظة) وقد رأت بأم عينها كيف ينهار المنزل على كل ما فيه .. على كل أثاثها وأشيائها وذكرياتها ..

الياس : وماذا فعلت بعد ذلك ؟

نزيه : اصطحبها بعض الجيران ، شبه محمولة ، الى بيت عمتي (صمت) وهناك قابلتها .. ولكنني قابلت امرأة أخرى .. لم أقابل ام نزيه .. لم اقابل أمي (يجهش ثانية) كانت جالسة تحدق في الاثر الوحيد الذي أخرجته من المنزل : صورة ابي . ولم تكن تنبس بكلمة (يجهش بصوت أعلى) فقدت أمي النطق . أصيبت بالبكم . ولكأن صمودها كله ، صمود خمسين عاما ، قد انهار مع انهيار منزلها، منزلنا . كانت تنظر الي بذهول ، كأنها لا تعرفني . كأنني لست ابنها. وناديتها مرات : يا أم نزيه ، يا ام نزيه .. (يختنق صوته ..)

سعيد : مهلا يا نزيه .. انت رجل يا نزيه .. ورجولتك مضرب المثـــل !

نزيه (يكفكف دمعه ، وبلهجة يجهد في ان تكون هادئة) : ظللت اناديها ، حتى أغمضت عينيها ذات لحظة ، كأنما لتستعيد من البعيد صورتي ، انا القريب أمامها ، ثم بسطت الي ذراعيها ، وتلقت على صدرها شابا يبكي لاول مرة ، منذ أعوام طويلة ..

(فتحي يغطي وجهه بيديه)

سعيد (مغالبا نفسه) : كفى يا فتحي .. كفى يا نزيه .. لن نبقى هكذا جالسين نبكي كالاطفال ، سوف تستعيد امك سكونها ، وسوف تسترد صمودها . هكذا عرفناها . وحين يعود زياد ، سنتعاون جميعا على اعادة بناء المنزل . فاذا نسفوه مرة ثانية ، بنيناه مرة ثانية . يهدمون ونبني . وسينتصر البناء ، مهما خربوا . ولا بد لنا الان من ان نقوم بعمل ، عمل سريع على الاخص .

فتحي (يأخذ نفسا طويلا) : نعم ، لا بد لنا من ان نعمل شيئا .

الياس : وليس امامنا وقت نضيعه .

نزيه (بهدوء) : كنت أتوقع أيها الرفاق ان اسمع منكم هذا . انني لم أكن اريد ان اقتسر الامر اقتسارا .

الياس : انت قائدنا يا نزيه . فامرنا بما ترى .

سعيد : ليس لان منزلكم بالذات قد نسف ، ولا لان امك أهينت. ان منزلك منزلنا ، وأمك أمنا . ان نسف المنازل بربرية لم تعرف مثلها أظلم عهود التاريخ . انها محاولة اجرامية لهدم كل الركـائز الروحية للانسان ، لاقتلاعه من جذوره . وهؤلاء الذين يزعمون في طول الدنيا وعرضها انهم انسانيون ، وانهم ينشدون السلام ، وانهم يريدون التعايش مع جيرانهم .. (يصمت)

فتحي : ما الذي تقترحه يا نزيه ؟

نزيه : اعتقد أن علينا ان نعد خطة محكمة لانقاذ زياد وهشام قبل ان نواجه العدو بأي عمل حاسم (لحظة) لا بـد من انقاذهما ، وبخاصة زياد . ان عودته الى أمه هي وحدها التي ستنقذها من الظلام الذي سقطت فيه . لقد انهار المنزل قبل ان ينسفوه . انهار حين غادره زياد ، فتقطعت أواصر الاسرة فيه (صمت) ولست ادري ان لم اكن انا أتحمل القسط الاوفر من تبعة هذا الذي حدث . انني أشعر احيانا بالندم وتبكيت الضمير ، وأتساءل : ألم يكن أفضل لامي ولبيتي ان أبقى في مكتب الهندسة وان اتابع مهنتي ...

سعيد : لم يكن لك خيار يا عزيزي . كان بوسعي انا ايضا ان أبقى في روضة الاطفال ،: وكان بامكان هشام ان يظل في المتجر..

فتحي (مقاطعا) : وكان بوسعي انا ايضا ان اصبح نشالا دوليا..

سعيد (يبتسم) : سبقتني الى قولها يا فتحي .. ولكن وجب علينا بعد ه حزيران ان نغير رؤيتنا للعالم ، ان نتساءل على نحو واع وملح عن مستقبل اجيالنا المقبلة .. (لحظة) انسيت يا نزيه ما قلته لنا منذ أيام من ان احدنا مدعو الى مواجهة التضحية بكل شيء .. بنفسه واخيه اذا اقتضى الامر ..

نزيه : كانت تلك نظرية تحتاج الـــى التطبيق لنحس قسوتهـا الحقيقية ... (يسمع كلاما في الخارج) انظر يا الياس ، هنـاك أصوات ..

الياس (متقدما خطوات ، ثم واقفا فجأة وهو ينظر خارجا) : عجبا ! من ؟ هذا هشام .. أقسم انه هشام (يندفع وخلفه نزيـه وفتحي) ولكن من يرافقه ؟ انه رجل ملثم لا نعرفه ...

سعيد (محدقا) بل يخيل الي اننا نعرفه ..

(يدخل هشام يجرجر قدميه معتمدا على كتف الرجل الملثم . يرتمي على الفراش من شدة الاعياء) .

المشهد الثالث

هشام ، الرجل الملثم ، نزيه ، فتحي ، الياس ، سعيد

نزيه (منحنيا ليجلس قرب هشام ويشد على كتفه) : حمدا لله على عودتك ، هشام !

هشام (يلتقط أنفاسه) : تحية أيها الرفاق !

الياس : من هذا الرجل الذي معك ؟

هشام (للرجل الملثم) : انزع لثامـه يـا أحمد (يميط الرجل لثامـه)

فتحي (بلهجة استنكار) : أليس هو الجاسوس الذي ...

الياس (يهجم عليه آخذا بخناقه) : يا ابن الفواد !

هشام (صائحا) : الياس ! ماذا تفعل أيها الشقي ؟ دعـه ، الياس !

(نزيه ينهض ليرد الياس الذي يبدأ بلكم أحمد)

نزيه : الياس ، اتركه لنسمع قصته !

هشام (في عصبية) : أية حماقة هذه ! ألا تنتظرون حتى تعرفوا الحقيقة ؟ (صمت . يتراجع الياس ، بينما يغض أحمد نظره) انكم لن تدعوه بعد الآن بالجاسوس . انه أحمد .

الياس : ولكنه هو الذي وشى بك وبنا ، هشام !

هشام (بهدوء) : صحيح . هو الذي وشى بي أمس ، ولكنه هو الذي انقذني اليوم (يتبادلون النظرات في صمت وحذر) هو الـذي قتل الحارس الاسرائيلي الذي كان مكلفا بحراستي !

الياس : انني لا أصدق ذلك !

نزيه : مهلا ، الياس !

هشام (متمما) : وهو الذي حملنـي على ظهره ، نصف الطريق على الاقل ، من مركز القيادة الى هنا ...

نزيه : ولكن كيف عرفتما مكان قاعدتنا هذه ؟

هشام : هو الذي عرفه أيضا ! هذه المرة (يبتسم) استعمـل

عن الرجال والبنادق

مجموعة قصص من

ادب المقاومة بقلم

غسان كنفاني

صدر حديثا ٢٠٠ ق.ل

جهاز الرصد عنده لصالحنا (يبقون جميعا صامتين) ولكن لماذا انتم صامتون هكذا ؟ قلت لكم انه هو الذي أنقذني ...

أحمد (بصوت منخفض) : انني آسف . أخطأت من قبل ، وقد أردت اليوم التكفير عن خطيئتي . كنت آمل أن أنضم اليكم وأناضل معكم . لكن يبدو انكم غير موافقين .. ولذلك ...

هشام (مقاطعا) : اسمع أحمد . لا تستبق الامور (صمت) حسنا . (لنزيه) اذا لم تصدقوني ، اذا لم تقتنعوا بعد ، فاسمحوا لي أن أذهب .

نزيه (بحدة) : لا ، هشام . تريث قليلا . أنك لا تترك لنا فرصة لمواجهة المفاجأة . (صمت)

سعيد : أنا شخصيا أثق بكلام هشام .

هشام : ماذا تطلبون منه أكثر من ذلك ؟ (بصوت غاضب) : ومن وكلكم أنتم بأبواب الجنة تغلقونها ، اذا شئتم ، دون التائبين ؟ أيكم بلا خطيئة ؟

نزيه : هدىء أعصابك ، هشام . أنت على حق في آن تثور . لسنا نحن المعصومين الذين ندين الناس . ولكن لا بد لنا من أن نراجع القيادة ، على الاقل .

أحمد : انني تحت تصرف القيادة . (لحظة) ثقوا اني أريد أن أضع نفسي منذ هذه اللحظة في خدمة القضية التي تدافعون عنها . وأرجو أن أكون في مستوى العمل الذي أرصد له نفسي .

سعيد : كنت أعتقد دائما بأن الدم العربي لا يمكن الا أن يسترد نقاءه . انه يعتكر ، ولكنه لا يفسد .

أحمد : تقول الدم العربي أيها الرفيق . أنت على حق . فمنذ رأيت دم هشام يسيل في مركز القيادة ، ارتعد ضميري . ثم رأيت آثار العذاب على أطراف زياد . وقلت لنفسي : لا بد أن يعذبوا ابني يوما كما عذبوه ... (صمت) لكن الذي هز أعماقي هزا ان هشام رفض أن يتناول من يدي الماء وهو يكاد يموت عطشا . (فترة) لم أحس يوما باحتقار لنفسي كما أحسست تلك اللحظة (صمت) وحين رأيته يفقد وعيه ، ربما لانه رفض آن يشرب من يدي ، قررت أن أنقذه. وقلت انني بذلك سأنقذ ابني أولا ، وسأتجنب احتقاره واحتقار كل الجيل الذي ينتمي اليه . أما المال الذي دفعوه لي (يخرج من جيبه رزمة من الاوراق المالية) فاني أضعه تحت تصرفكم . (يضعه على الطاولة الصغيرة)

نزيه (بهدوء) : أحمد ... أنا واثق اننا سنرحب بك في صفوفنا .

أحمد (يمد يده مصافحا) شكرا لكم . لقد أعدتم الي ثقتي بنفسي (صمت) وأرجو أن تسمحوا أن يكون لي شرف انقاذ زياد بمساعدتكم . انني أريد أن أرده الى أمه ، وأن أعيده الى بيته .

نزيه (بأسى) : أمه ... أفضل الآن ألا يرى أمه . وبيته (صمت) لم يبق له من بيت .

هشام (مذعورا) : ماذا ؟ ماذا حدث ؟ (لا يجيب نزيه) تكلم ، نزيه ! هل أصيبت أم نزيه بشر ؟ هل ألحقوا أذى بالمنزل ؟ وليلى ؟

نزيه : مهلا ، هشام . أنت ما تزال مريضا . انك بحاجة الى الراحة والهدوء . سآتيك بليلى لتكون الى جانبك ريثما تشفى وتعود الى الساحة التي تحتاجك . ولكن قليلا من الصبر والحكمة (لحظة) بعد ساعات قليلة ، تكون ليلى هنا . (يلتفت الى رفاقه) والآن تعالوا ندرس خطتنا المقبلة (لهشام) لا بد انك متعب يا هشام ، فخذ قسطا من الراحة ، وحاول أن تنام ...

هشام : أما الراحة ، فانا حقا بحاجة اليها . وأما النوم ، فلست الآن لاطيقه . أفضل عليه أن أستمع الى أصواتكم . سأصغي اليكم تتكلمون . عشت هناك في وحشة قاتلة ، حسبي الآن أن أستمع الى حديثكم وأستعيد حياتي معكم .

(يربت نزيه على كتفه في حنان ، ثم يساعده على التمدد فوق البساط ، ملقيا عليه رداء . يظهر زياد فجأة على باب المغارة)

المشهد الرابع

زياد ، هشام ، أحمد ، نزيه ، الياس ، فتحي ، سعيد

نزيه (هاتفا) : زياد ! أخي زياد ! (يغرقان في عناق)

هشام (ناهضا في مشقة) : زياد ! حمدا لله (يعانقه)

زياد (يعانقه في لهفة) : وأنت أيضا يا هشام . نشكر الله على عودتك . لقد عرفت القصة كلها التي جرت هذا الصباح ...

نزيه : ولكن كيف خرجت يا زياد ؟ هل أطلقوا سراحك طوعا أم قد تمكنت من الفرار ؟

زياد : مهلا أيها الاعزاء .. هذه قصة طويلة ، ولكن لنسلم على الاخوان الباقين (يصافح فتحي وسعيد والياس ، ثم يتوقف لحظة وهو يحدق في أحمد) هذا أنت ؟ لم أكن أشك ان ضميرك سيرتد اليك ذات لحظة ... أتذكر لقاءنا ذلك ، وهشام تسيل منه الدماء ، وهو يطلب شربة ماء ؟

أحمد : أذكره يا زياد .. وأذكر ان لك عينين ناريتين رادعتين (يضحكون جميعا)

زياد : لكن الذي لا تعرفه أيها الاخ أحمد ان توقيتك لعملية انقاذ هشام كان على غاية الاحكام ! فلو قدمت هذا التوقيت ربع ساعة فقط لابقوني في الاعتقال .. ولاحتجزوا كذلك ليلى !

نزيه وهشام (معا) : ليلى !

زياد (مستدركا) : آه .. عفوا ! (لحظة صمت) ولكن دعوني أولا أجلس وألتقط أنفاسي ! ان ساقي ترتجفان تعبا وانفعالا !

نزيه : هل قابلت أمك ؟

زياد : لا ، لم أقابلها بعد . أردت أولا أن ألقاكم ، وأن أتحدث اليكم ، بهدوء وموضوعية !

هشام (بلهجة حادة) : ولكن أين ليلى يا زياد ؟

زياد : مهلا يا عزيزي .. سأروي لكم كل شيء !

فتحي : انني أغبطك على برودة أعصابك ، زياد ! من كان يقول انك ستتحدث لحظة بهذه اللهجة ؟

زياد : أنت على حق ، فتحي . لكني أشعر اني كبرت في هذه الايام الخمسة ، عشر سنوات على الاقل !

نزيه : وهل ذهبت ليلى الى البيت ؟

زياد : أي بيت ، نزيه ؟! لماذا تريد أن تخفي عني الحقيقة ؟ لقد عرفنا ونحن في الطريق انهم نسفوه ، فلم نشأ ان نذهب الى حيث نرى ركاما وحطاما بدلا من المأوى الذي رأينا فيه النور . نريد أن نحتفظ في أذهاننا بصورة مشرقة لمنزلنا (لحظة) ثم ان ليلى كانت قد صممت منذ البدء على عدم العودة الى البيت ...

هشام : ولكن لماذا يا زياد ؟ ماذا حدث لليلى ؟

زياد : قالت انها لا تجرؤ على النظر الى أمها بعد ، ولن تحتمل نظراتها ...

هشام : لماذا ؟ انني لا أفهم شيئا (لنزيه) هل فهمت أنت شيئا ؟

نزيه (بهدوء) : أخشى أن أكون قد فهمت ...

هشام (بعصبية) : ماذا فهمت ؟ وأين هي ليلى الآن ؟

زياد : لقد ذهبت تريد ان تلتحق ممرضة بأحد المستشفيات .

(صمت . يتبادلون النظرات)

نزيه : والآن ، هل لك أن تروي لنا ما حدث ، زياد ؟

زياد : حسنا ... حين خرجنا هذا الصباح من مركز القيادة ، قبل دقائق معدودة من العملية التي قام بها أحمد لانقاذ هشام ، روت لي ليلى القصة ..

(يجلس الجميع حول زياد . ينطفىء النور في المغارة فيختفون جميعا في الظلام ويلتزمون صمتا مطبقا)

المشهد الخامس

صوت ليلى

صوت ليلى : زياد .. يا أخي المسكين . يا حبيبي الصغير . هات يدك ولا تترك يدي . أريد أن أتيقن من انني لن أضيعك بعد . لن أدعهم يأخذونك ثانية يا زياد . رحمة بأمك ، التي تدعو الموت اليها كل لحظة . حين أخذوك يا زياد ، بدأ العذاب في البيت . بدأ عندنا، قبل أن يبدأ في الغرفة السوداء التي وضعوك فيها . في الليلة الاولى، لم تكف عن مناداتك والهتاف باسمك . كانت تدخل غرفتك بين الحين والحين ، فتتلمس كتبك ودفاترك وأقلامك ، وملابسك وأشياءك كلها . قلبت مجموعة صورك عشر مرات على الاقل . كانت تحدق فيك وتناجيك كما كانت تناجيك وأنت طفل . تسألك وتجيب عنك ، تسألك لماذا ذهبت يا زياد ، ولمن تركتنا أنا وأختك ، ألا تعلم أنك أصبحت رجل البيت ، بعد أن غادره نزيه للقيام بمهماته ، وانك أنت وحدك العزاء من غيابه . ثم كانت تتلمس فراشك ، وتضع خدها على وسادتك ، وتسألك أين أنت الآن نائم ، على أية وسادة من حجر ، وفوق أي سرير من شوك ؟ وترتد الي تسائلني : كيف تركناك تذهب ، وهل تراهم يعذبونك أم انهم يرحمون غضارة صباك ؟ ولم تنم أمك تلك الليلة يا زياد ، ولم تدعني أنام . عند الفجر فحسب ، غفوت حين انصرفت الى الصلاة . وحين رأتني نائمة على الاريكة ، أشفقت علي من أرق الليلة السابقة ، فأيقظتني لتطلب مني أن أدخل فأنام في سريري . ولكني رأيت عينيها المتورمتين ، فأدركت انها قد بكت وهي تصلي مبتهلة الى الله أن يردك لها . وظللت طوال النهار الى جانبها أحاول أن أهدئها حتى حل المساء ، فتفاقم قلقها ، ولزمت سريرها وقد أدركها الوهن . ومع ذلك لم يغمض لها جفن ، ولاحظت انها قد بدأت تفقد أعصابها ، بل هي قد صاحت بي ذات لحظة ، اذ رأتني أغفي ، فاستنكرت علي أن أستطيع النوم وهي لا تستطيعه ، وقالت انها تشعر بأنها ستموت اذا لم ترك يا زياد على الفور . وحين وعدتها أن أخرج عند الصباح لاتسقط أخبارك في الجوار ، قرأت في عينيها الحث والتشجيع ، ولمحت أخيرا طيف لهفة وأمل يرف على وجهها المعذب . وبالرغم من انني بذلت ذلك الوعد على سبيل التهدئة ، فقد أحسستني عند الصباح ملزمة بالوفاء به ، بل لم يكن لي مناص من تحقيقه وأنا أراها قد بدأت تحيا عليه . وبدأت أتساءل : من ذا الذي يوافيني بأخبارك ، وما جدوى أن أعرف أخبارك ؟ ما عساني أفعل حين أعرف انك مسجون في زنزانة ، أو انهم يعذبونك ؟ وهل تسترد الطمأنينة اذا أبلغتها انك في خير ، حتى ولو كان ذلك من قبيل الاكذوبة ؟ ان نفسها لن تهدأ الا اذا رأتك عيناها ، وتلمست جسمك اصابعها ، وعانقتك بذراعيها الاثنتين . واذن ، فلا بد من أن تعود اليها يا زياد ، جسما حقيقيا ، بعد أن ظل طيفك يرف فوق المنزل ليلتين فلا يزيد ربته الا عذابا ولهفة ... ولكن كيف تعود اليها يا أخي ؟ كيف يطلقون سراحك وهم يحسبونك رهينة ثمينة اذا لم يعتبرونك غنيمة ؟ وعند ذلك بدأ في نفسي القلق والحيرة ، ثم تحولا الى تمزق وعذاب . وأخذت الاصوات تتساقط في مسمعي من كل صوب ، أصوات غريبة لا أعرفها ، وأصوات حبيبة أعرفها ، وقد كانت كلها تسائلني : « ماذا تنتظرين لتنقذيه ؟ » كان هناك صوت أمي ، وكان هناك صوت نزيه ، وكان هناك صوت خطيبي هشام ... بل لعل صوت هشام كان أكثر الاصوات حرارة وأشدها الحاحا : « ماذا تنتظرين يا ليلى ؟ ماذا تنتظرين يا حبيبتي ؟ » ورحت أسائل هذه الاصوات جميعا : ولكن كيف لي أنا أن أنقذه الا بأن أقصده في سجنه ؟ وهل أستطيع أن أقابله من غير أن أقابل سجانيه ؟ وكيف يلقاني جلادوه ؟ كيف يستقبلني ذلك الضابط الذي أسره ؟ أجيبي يا أمي التي تطالبني وتحثني على الذهاب ، أجب يا نزيه ، بل أجب أنت يا هشام ، يا من عاهدته على النقاء ؟ ولقد أجابوني يا زياد .. أجابوني جميعا ، بل لقد أحسست أيديهم تدفعني من كتفي ، وسمعت أصواتهم تشجعني على المضي ، على الاقتراب من النار ، فراشة ترف بجناحيها فوق اللهب ، لا تهرب منه ولا تبتعد ، واثقة من انه مصيرها لا فرار منه ... وهكذا توجهت الى مقر الضابط الذي جاء ينتزعك من بيننا يا زياد ، لابتهل اليه أن يطلق سراحك ، رحمة بأمك على الاقل . وعرفت هناك ما كنت أخشاه وأتوقعه ، عرفت انهم يعذبونك ، وعرفت ان هشام كان قد سبقني لمحاولة انقاذك فأصيب بجراح بالغة ، ورأيت آثار دمه في مقر القيادة . وحين استعدت وعيي ، كانت الفراشة قد سقطت في اللهب ... (صمت) لا أدري يا زياد : أهم الذين اغتصبوني أم أنا التي استسلمت ؟ أليست هذه قصة أرضنا كلها يا زياد ؟

(يصمت صوت ليلى . يشتد الظلام في المغارة ، فلا يرى فيها شيء قط)

المشهد السادس

هشام

(تبقى المغارة مظلمة فترة ، ثم يضاء نور تدريجي يوحي بأن النهار قد أشرق . يرى داخل المغارة هشام وحده متمددا على الفراش ، ثم يتقلب ويستقيم جالسا ، ويدير نظره حوله في دهشة تنقلب الى ذعر)

هشام : أين أنتم ؟ نزيه ، زياد ، فتحي ، سعيد ، الياس ، أحمد. أين أنتم ؟ أين ذهبوا يا الهي ؟ لماذا تركتموني وحدي ؟ كيف تخونونني هكذا ؟ ألم نتعاهد على أن نبقى معا ، على أن نحيا معا أو نموت معا ؟ (لحظة ، يلتفت حوله) ولكن ماذا حدث ؟ نمت طوال الليل ، أم أغمي علي ؟ (يحاول أن ينهض متحاملا على نفسه ، ناظرا خارج المغارة) أليس هنا أحد ؟ أين أنتم أيها الرفاق ؟ يا الهي ! ماذا أصنع هنا وحدي ؟ ليتني أستطيع أن أمشي ، اذن لركضت ألحق بهم وأواجه المصير الذي يواجهونه ... ولكن جرحي ما يزال يؤلمني (يتأوه) وساقاي واهنتان ... فلماذا لم يتركوا لي أحدا ؟ لماذا لم يبق على الاقل زياد وهو بأمس الحاجة للراحة ؟ (يدير رأسه ثانية فيما حوله)

دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

- من أدبنا المعاصر
  للدكتور طه حسين
- قضايا جديدة في أدبنا الحديث
  للدكتور محمد مندور
- مشكلة الحب
  للدكتور زكريا ابراهيم
- تجديد رسالة الغفران
  لخليل هنداوي
- دراسات في الادب الجزائري
  لابو القاسم سعد الله
- بابا همنغواي
  لهوتشنر
- الادب المسؤول
  رئيف خوري

ولكن أي صمت هذا ؟ انني لا أسمع حتى زقزقة عصفور أو حفيف ورقة . ما الذي حدث ؟ (يقع نظره في زاوية المغارة على جهاز ترانزستور ، فيتجه اليه ويتناوله) جهاز راديو ؟ أية أخبار هناك ؟ أريد أن أسمع شيئا ، أي شيء ، كلمة تهمس بها شفتان ، حتى ولو عبر الاثير ، خبرا حتى ولو كان سيئا ، نغمة حتى ولو كانت حزينة .. (يجلس ويدير زر الجهاز ، فتنبعث أصوات صاخبة غير مميزة أولا ، ثم تنبعث موسيقى عسكرية ، ثم تتميز الاصوات ، هاتفة ، بلهجات مختلفة)

الاصوات : هنا القاهرة ، هنا عمان ، هنا دمشق ، هنا بيروت ، هنا بغداد ، هنا الجزائر ... صوت فلسطين ، اذاعة فلسطين ، أيها المواطنون العرب ، يا جماهير أمتنا الخالدة ، اليكم هذا النبأ العظيم : فجر هذا اليوم المشرق ، أعلنت ثورة التحرير الفلسطينية ، في كل مكان من الارض المحتلة ، وانطلقت فرق الفدائيين وكتائب التحرير تهاجم قواعد العدو في كل مكان ، بمساعدة جميع المواطنين العرب في كل أرجاء الوطن السليب . انها ثورة الشعب العربي كله لتحرير الارض المغتصبة . أيها المواطنون العرب ، ها هو فجر الثورة التحررية الكبرى ، لا ثورة تحرير فلسطين وحدها ، ثورة العروبة كلها ، ثورة الانسان العربي لتحرير أرضه ووطنه . فلنعش مع أولئك الفدائيين الابطال الذين يواجهون الآن أعظم الاخطار ، ويقدمون أروع التضحيات.

(يهتز جسم هشام بالبكاء ، وترتجف يده بالجهاز ، ثم يخفت صوت الراديو)

هشام : هكذا اذن تخليتم عني أيها الرفاق ! هكذا اذن تركتموني في الظلام لتطلعوا وحدكم نور الفجر ؟ هل أراكم مرة أخرى ؟

(يصمت لحظة ، ثم يرتفع صوت الراديو من جديد ، فتسمع أغنية فيروز « سنرجع يوما .. » وحين تنتهي يرتفع صوت المذيع)

الصوت : « هنا صوت الثورة الفلسطينية . أيها الاخوة المواطنون . اليكم هذا البلاغ الذي وردنا الآن . بلاغ رقم ٩٩٩ . عند منتصف ليلة أمس قامت المجموعة ١٨٩ بهجوم صاعق على مقر قيادة العدو قريبا من بيت فوريك ، على بعد دقائق من نابلس . ونشبت معركة ضارية مع حرس القيادة وجنودها أسفرت عن مقتل خمسة جنود بينهم ضابط القيادة الذي قتله بالخنجر الفدائي الشاب زياد ، كما أسرت مجندة اسرائيلية ، وتم تدمير المركز بكامله . وقد أبلت هذه المجموعة أحسن البلاء في هذه المعركة التي كانت واحدة من عشرات المعارك التي مهدت ليلة أمس لقيام ثورة التحرير الفلسطينية الشاملة. واستشهد من أبطال هذه المجموعة كل من المناضلين نزيه وفتحي وأحمد. عاشت فلسطين حرة عربية ، المجد والخلود لشهدائنا الابرار » .

(يخفت هشام صوت الترانزستور ، ثم ينحني ، فيلصق جبينه بالارض ، كأنما هو يقبلها . ويبقى كذلك فترة)

المشهد السابع

هشام ، ليلى

(هشام ما يزال ساجدا على الارض . ثم يرفع رأسه ، فيبدو جبينه معفرا بالتراب . فجأة تظهر ليلى في المغارة ، كأنها طيف سماوي ، مرتدية ثوبا أبيض طويلا أشبه بثوب العرس ، يتطاير شعرها في الهواء . يصطبغ الثوب تدريجيا بلون أحمر ، حتى يغدو مكونا من زهور حمراء قانية بلون الدم . يحدق هشام فيها لحظات ثم ينهض . تقترب ليلى داخل المغارة باسمة . وحين تبسط ذراعيها باتجاه هشام ، يسترد ثوبها لون البياض الناصع . يتلقاها هشام الى صدره) .

هشام : كنت دائما واثقا انك ستعودين الي ، محررة ، نقية ، رائعة .

(يتعانقان ، بينما تنطلق أغنية فيروز «راجعون»)

ـ ستار ـ

دار الاندلس

للطبع والنشر والتوزيع

تقدم خالص تهانيها بالعام الجديد راجية ان يعيده الله على امتنا العربية بالمجد والنصر

وتقدم آخر ما صدر عنها

الطب الشعبي

تأليف الدكتور امين رويحة

طبعة جديدة عليها زيادات هامة

وصفات من الطب الشعبي بطريقة علمية تشمل الطب الحديث والقديم .

●

التداوي بالايحاء الروحي

تأليف الدكتور امين رويحة

احدث ما أقره الطب الحديث للتداوي

بالايحاء النفسي ـ التنويم المغناطيسي ـ اليوغا مع ملحق عن مرض الربو اسبابه وعلاجه .